سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى
عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

www.souriatnapress.net

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com

تصدر من دمشق

سوريتنا | السنة الثالثة | العدد (119) | 29 / 12 /2013

أسبوعية تصدر عن شباب سوري مستقل

هيومن رايتس ووتش: غارات النظام الجوية على مدينة حلب غير مشروعة ونشر للدمار

■ ملف الإخبار من إعداد: زليخة سالم

آثار إحدى الغارات بالبراميل على مدينة حلب

وصفت منظمة هيومن رايتس ووتش: العشرات من الغارات الجوية التي شنتها قوات الحكومة على محافظة حلب، وأسفرت عن مقتل المئات من المدنيين وبينهم أطفال غير مشروعة.

وجددت المنظمة دعوتها مجلس الأمن لإحالة الوضع في سوريا إلى المحكمة الجنائية الدولية، وفرض حظر للتسلح على الحكومة، وتبني جزاءات بحق مسؤولي الحكومة المتورطين في انتهاكات.

وقال أوليه سولفانغ وهو باحث أول في ملف حالات الطوارئ في هيومن رايتس ووتش: فيما كان انتباه العالم ينصب على مباحثات السلام المحتملة، كانت الحكومة السورية تهاجم المناطق المدنية بقوة نيران كبيرة، وحتى بينما يحاول الدبلوماسيون التوصل إلى حل سياسي، ينبغي للعالم إلا يسكت على قتل المدنيين دون وجه حق.

ووثقت هيومن رايتس ووتش اشتداد الهجمات الحكومية بدءاً من 23 تشرين الثاني بعد شهور من تعادل الكفتين بين القوات الحكومية والمعارضة في حلب، وقد شهدت أيام 15 - 18 كانون الأول أعنف الغارات الجوية على حلب حتى تاريخه.

وأوضحت أن الهجمات أصابت مناطق سكنية وتجارية، فتسببت في أحيان كثيرة في مقتل العشرات من المدنيين، إما بأخطاء الأهداف العسكرية المحتملة أو بدلائل لا تذكر على وجود أهداف عسكرية مقصودة في محيط الهجمات.

أجرت هيومن رايتس ووتش مقابلات مع ضحايا وشهود ونشطاء محليين ومشتغلين في القطاع الطبي عن طريق الهاتف، وتحققت من أقوالهم بتحليل مقاطع فيديو وصور فوتوغرافية منشورة على الإنترنت، كما زار أحد مستشاريها ثلاثة من مواقع الهجمات وأجرى مقابلات مع ثمانية من الضحايا والشهود.

وقال أوليه سلفانغ: لقد عملت القوات الحكومية على نشر الدمار في حلب خلال الشهر الماضي، فإما أن تكون القوات الجوية السورية عديمة الكفاءة لدرجة إجرامية، أو أنها لا تكترث بقتل العشرات من المدنيين، أو أنها تتعمد استهداف المناطق المدنية.

من جانب آخر وثقت الشبكة السورية لحقوق الإنسان وفاة 232 مدنياً، خلال الفترة الواقعة بين 15 و18 كانون الأول، توفي أغلبيتهم الساحقة جراء الغارات الجوية، كما جمع مركز توثيق الانتهاكات، أسماء 206 أشخاص قتلوا في الفترة نفسها بينهم مقاتلان.

ووثق مركز التوثيق مقتل 433 شخصاً في غارات جوية في سائر محافظة حلب بين 22 تشرين الثاني و18 كانون الأول، وكان ثمانية فقط من هؤلاء من مقاتلي المعارضة.

وأشارت أبحاث أجرتها هيومن رايتس ووتش إلى أن هجمات قوات المعارضة، التي أدت إلى مقتل مدنيين في الجزء الخاضع لسيطرة الحكومة من مدينة حلب في نفس التوقيت، كانت على ما يبدو عشوائية عديمة التمييز، وبالتالي غير مشروعة.

وبينت المنظمة أن الغارات الجوية الأخيرة اتبعت نفس النمط الذي اتبعته غارات كانت قد وثقتها في تقريرها نيسان / موت من السماء / والذي خلص إلى أن القوات الحكومية استخدمت وسائل وأساليب حربية لا يمكنها، في الظروف السائدة، التمييز بين المدنيين والمحاربين، مما يجعل الهجمات عشوائية عديمة التمييز وبالتالي غير مشروعة، كما بدت قوات الحكومة في بعض الحالات وكأنها تتعمد استهداف المدنيين والأعيان المدنية، أو كأنها لم تستهدف أعياناً عسكرية ظاهرة.

وأصابت معظم الهجمات التي وثقتها هيومن رايتس ووتش في الشهر الماضي ما لا يقل عن 16 حياً سكنياً في الجزء الخاضع لسيطرة المعارضة من مدينة حلب، وبلدة الباب التي تبعد 40 كيلومتراً إلى الشمال الشرقي، والتي كانت في قبضة المعارضة منذ تموز 2012، وكثيراً ما تأتي منها إمدادات المقاتلين لمواجهة القوات الحكومية في حلب.

وسقطت بعض الهجمات التي وثقتها على مقربة نسبية من أهداف عسكرية محتملة، فعلى سبيل المثال، في 12 تشرين الثاني، سقطت قنبلة أدت إلى مقتل 12 مدنياً في حلب على مسافة نحو 100 متر من بناية يحتلها مقاتلون للمعارضة، إلا أن سكان محليين من حلب والباب قالوا أن هجمات الشهر الماضي لم تصب أو تعطب أياً من قواعد المعارضة أو نقاط تفتيشها المعروفة في المدينتين.

وقال سكان محليون وأطباء ممن شهدوا الهجمات وعالجوا الجرحى أو وصلوا إلى مسرحها بعدها بقليل لـ هيومن رايتس ووتش إنهم لم يروا مقاتلين معارضين مسلحين ضمن الجرحى والقتلى، واستقبل مستشفى ميداني في حلب، أكثر من 100 مصاب في 15 كانون الأول، كان بينهم عدداً قليلاً من مقاتلي المعارضة، لكن الـ30 الذين توفوا في المستشفى في ذلك اليوم لم يكن بينهم أحد منهم.

وتبين المقابلات، والصور ومقاطع الفيديو المأخوذة في أعقاب الهجمات حسب هيومن رايتس ووتش، أن العديد من الهجمات قد أدت إلى تلفيات كبيرة، ودمرت في بعض الأحيان بناية أو عدة أبنية بالكامل. وهي تعتقد أنه لا يجوز للقادة العسكريين، كسياسة عامة، إصدار أوامر باستخدام أسلحة انفجارية يمتد أثرها على مساحات واسعة في المناطق المأهولة، بسبب الضرر المتوقع للمدنيين.

وقالت المنظمة: يبدو أيضاً أن قوات المعارضة قد خالفت القانون الدولي إبان الاشتداد الأخير للقتال، عن طريق إطلاق صواريخ وقذائف هاون على نحو عشوائي على مناطق مدنية في الجزء الخاضع لسيطرة الحكومة من حلب، حيث أطلقت قوات المعارضة ما لا يقل عن 10 صواريخ أرض - أرض على العديد من تلك المناطق السكنية في 4 كانون الأول، فقتلت 19 مدنياً على الأقل، بحسب مقابلة مع أحد سكان المنطقة، وصور ومقاطع فيديو راجعتها هيومن رايتس ووتش.

الإعلامي سامر عوض يلتحق بقافلة الشهداء الإعلاميين

التحق الإعلامي سامر عوض أبو سليم بقافلة الشهداء الإعلاميين الذين دفعوا حياتهم ثمناً لنقل الحقيقة

واستشهد أبو سليم أثناء تغطيته للأحداث في مدينة عدرا بريف دمشق

ذهب للمشاركة في مشروع تلفزيوني في مخيم كاور غوسك فأقام ورشة عمل فنية للأطفال

الفنان التشكيلي الألماني رينهارد كلايست، حاصل على عدة جوائز، ذهب إلى مخيم كاورغوسك للاجئين السوريين شمال العراق للمشاركة في مشروع قناة آرتي التلفزيونية الفرنسية الألمانية الذي يهدف إلى إنتاج برامج وثائقية، وألعاب تفاعلية، ونصوص، وصور، وأعمال فنية من أربعة مخيمات للاجئين حول العالم، فأقام فيه ورشة عمل فنية للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 8 أعوام و14 عاماً كوسيلة يرد بها شيئاً إلى مجتمع اللاجئين الذي منحه فرصة البقاء معهم ومشاهدة حياتهم اليومية

وقال كيست في تصريحات له بعدما أنهى فصلاً دراسياً احترافياً للأطفال في المخيم أن العمل مع الأطفال السوريين اللاجئين شمالي العراق في إطار مشروع الوسائط المتعددة الطموح يُعد من أكثر الأعمال المؤثرة وجدانياً التي قمت بها في حياتي، وخلافاً لعملي في برلين، يمكنني هنا أن أتفاعل مباشرة مع الموضوعات وأرى ردود أفعالهم تجاه لوحاتي.

وأضاف: عندما كنت آتياً إلى هنا، أردت أن أحضر معي شيئاً لأعطيه للاجئين حتى أشعر أني قد أحسنت صنعاً وفكرت أني إذا اشتريت أقلام ألوان ولوحات، فسوف أعطي الأطفال شيئاً نافعاً، وأعلم في الوقت نفسه عن مشاعرهم وحياتهم هنا كما قد يساعدهم ذلك أيضاً في نسيان الحرب وما شاهدوه في سوريا.

أوجاع وطن

النصف الأول من عام 2013: واحد من أسوأ فترات النزوح القسري خلال عقود

سجل عام 2013 إحدى أعلى مستويات النزوح القسري في العالم، وأجبر 9.5 مليون شخص على الفرار من منازلهم في الأشهر الستة الأولى من السنة، مقارنة بـ6.7 مليون آخرين في عام 2012 بأكمله، وسورية سجلت أكبر إنتاج للنزوح الجديد.

ووصفت المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين في تقرير أصدرته مؤخراً النصف الأول من عام 2013 بأنه واحد من أسوأ فترات النزوح القسري خلال عقود محذرة من الأعداد الكبيرة والاستثنائية من اللاجئين الجدد والنازحين داخلياً، من خلال معلومات حصلت عليها من 120 مكتباً للمنظمة في أنحاء العالم، ويظهر ارتفاعاً حاداً في العديد من المؤشرات الهامة، من بينها عدد اللاجئين الجدد حيث وصل إلى 5.1 مليون خلال الأشهر الستة الأولى من عام 2013 مقارنة بـ 1.1 مليون لعام 2012 بأكمله.

وكشف التقرير عن مؤشر آخر هو النازحون الجدد داخل بلدانهم حيث ارتفع العدد إلى أربعة ملايين شخص مقارنة بـ 6.5 مليون لعام 2012 بأكمله، كما سجل عام 2013 أكبر عدد من حيث طلبات اللجوء فقد بلغ 450 ألف طلب، وهو يجاري مستويات نفس الفترة من العام الماضي.

وقال أنطونيو غوتيريس، المفوض السامي للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين من الصعب أن نرى مثل هذه الأرقام وأن لا نسأل لماذا يتحول كثير من الناس اليوم إلى لاجئين أو نازحين داخلياً، المنظمات الإنسانية تقدم المساعدات المنقذة للحياة، ولكن لا يمكننا منع أو وقف الحروب اذ يتطلب ذلك جهداً سياسياً وإرادة سياسية وهو ما يحتاج اهتماماً دولياً أكثر تضافرا

ويعتبر النزوح القسري على الصعيد العالمي، والذي يقف عند حاجز 45.2 شخص نهاية عام 2012 عند أعلى مستوى له منذ أوائل التسعينات، بسبب نشوب صراعات جديدة.

وحذر التقرير من ارتفاع المحصلة النهائية لعام 2013 ككل في النزوح القسري العالمي، وعزى ذلك أساساً إلى استمرار التدفقات الكبيرة من سوريا إضافة إلى النزوح الداخلي فيها.

وتعمل المفوضية وفق التقرير في جميع مواقع اللاجئين الرئيسية في العالم، باستثناء اللاجئين الفلسطينيين الذين ينضوون تحت رعاية وكالة الأونروا، وكذلك حالات النزوح الداخلي حيث تعنى بهم مباشرة حكوماتهم الوطنية.

ويشير تقرير الاتجاهات نصف السنوية 2013 إلى ارتفاع في عدة مجالات تشمل ما يسمى لأشخاص الذين تعنى بهم المفوضية ويشمل ذلك زيادة من 600 ألف لاجئ من نهاية 2012 إلى 11.1 مليون شخص، وارتفاعاً حاداً في أعداد النازحين داخلياً ممن ترعاهم المفوضية ليصل إلى 20.8 مليون. مليون من 17.7 مليون شخص في نهاية عام 2012

وفي أماكن أخرى، عاد 189.300 لاجئ إلى بلدانهم الأصلية خلال الأشهر الستة الأولى من عام 2013، في حين أعيد توطين 33.700 في بلدان ثالثة كما عاد نحو 688 ألف نازح داخلياً إلى ديارهم في البلدان التي تعمل فيها المفوضية لصالح النازحين داخلياً

وبقيت أفغانستان متصدرة قائمة البلدان المنتجة للاجئين بشكل عام (2.6 مليون) فيما تحتل باكستان مركز أكبر دولة مضيفة للاجئين 1.6 مليون.

اللجنة الدولية للصليب الأحمر تعرب عن قلقها من ارتفاع عدد الضحايا المدنيين في حلب

أعربت اللجنة الدولية للصليب الأحمر عن قلقها البالغ إزاء العدد الكبير من الضحايا المدنيين المعلن عنهم في حلب، ودعت جميع الأطراف إلى الامتثال لقواعد القانون الدولي الإنساني،

وإلى التنبه باستمرار إلى ضرورة حماية المدنيين وحقن دمائهم، واتخاذ جميع الاحتياطات الممكنة لتجنب إصابة المدنيين وإحداث خسائر في الأرواح، ويُحظر شن الهجمات العشوائية. وحثت اللجنة في بيان لها جميع الأطراف على الامتناع عن استخدام الأسلحة المتفجرة التي تؤثر على مساحات واسعة في المناطق الحضرية والسكنية، وقالت: أن درجات البرودة القياسية تتسبب أيضاً في تزايد البؤس الذي يعاني منه الملايين من النازحين داخل سورية ومن اللاجئين في جميع أنحاء المنطقة في ظل موجة البرد التي تتعرض لها سورية، مشيرة إلى أنها تبذل ما في وسعها لمساعدة الملايين من الناس على الرغم من تصاعد العنف وتدهور الأوضاع الأمنية وتدني فرص الحصول على المساعدات الإنسانية.

وقال ماغني بارث رئيس بعثة اللجنة الدولية في سورية: أن عدد القتلى في ارتفاع، وقد قتل ما يزيد عن مائة شخص من المدنيين في حلب خلال الأيام الأخيرة وأصيب ما لا يقل عن نصف مليون شخص بجروح، ونزح الملايين، واحتجز عشرات الآلاف من الناس في البلد، وبدأت الإمدادات من المواد الغذائية وغيرها من الضروريات الأساسية في التناقص بشكل خطير، ولا سيما في المناطق المحاصرة، ومع ذلك، يزال من الصعب للغاية إغاثة الناس في سورية على الرغم من الطابع بالغ الاستعجال لهذه الحالة.

وأضاف: قُتل ما يزيد عن مائة شخص في الأسواق وأمام محطة للحافلات وفي أماكن أخرى من مناطق مكتظة بالناس عجّت المستشفيات المحلية، التي تكافح بالفعل لتدبير أمورها بالإمدادات المحدودة من الأدوية، بأعداد المصابين الذين يتدفقون إليها منذ يوم الأحد الماضي

وأعرب بارث عن أمله أن تسفر بيانات السلطات السورية التي تقرّ بضرورة زيادة حجم المساعدات الإنسانية المقدمة لضحايا الأحداث أن تسفر عن زيادة فرص الوصول إليهم، وقال: لا يزال من غير المسموح به لموظفي اللجنة الدولية الدخول إلى المناطق المحاصرة لتقديم المساعدات، بما فيها الإمدادات الطبية التي تشتد الحاجة إليها، إلى جميع الأشخاص المحتاجين، أيّاً كانوا، وحتى يتسنى إجراء تحسينات ذات مغزى لهذا الوضع، فسيكون من الضروري السماح للمرضى والجرحى، أينما كانوا، بتلقي الرعاية الطبية، والسماح بدخول الإمدادات الغذائية والطبية إلى المناطق المحاصرة، والترخيص للمنظمات الإنسانية المستقلة مثل اللجنة الدولية للصليب الأحمر بزيارة الأشخاص المحتجزين في إطار الأحداث الدائرة.

وأوضح أن فئات واسعة من السكان، ولا سيما في المناطق المتضررة بشكل مباشر من القتال، بما فيها تلك الواقعة شرق حلب، أن تحصل على الرعاية الصحية المناسبة، وأن الجرحى في معظم الأحيان لا يتلقون الرعاية المناسبة، ولا يحصل المصابون بأمراض مزمنة في الغالب على العلاج الذي يحتاجونه، وقال: أجبرنا اختطاف زملائنا على تقييد تنقلنا في بعض المناطق غير أنه لا ينبغي أن يدفع السوريون ثمن هذا التصرف الذي لا معنى له، ولهذا السبب سنواصل مع اقتراب حلول الشتاء واشتداد المعاناة، تقديم المساعدة إلى ملايين المحتاجين من الناس.

وبينت اللجنة في بيانها أن انعدام الأمن يؤثر تأثيراً بالغاً على قدرة المنظمات الإنسانية على العمل في سورية ويتضح هذا بشكل مأساوي في مقتل 32 متطوعاً من الهلال الأحمر العربي السوري منذ بداية النزاع، واختطاف جماعة مسلحة لثلاثة موظفين تابعين للجنة الدولية في إدلب في 13 تشرين الأول.

وعلى الرغم من هذه الحوادث، فإن الهلال الأحمر العربي السوري واللجنة الدولية يواصلان العمل مع مجالس المياه المحلية لتوفير مياه الشرب المأمونة لما يزيد عن 20 مليون سوري، واتخذ مهندسو المياه والصرف الصحي التابعون للجنة الدولية خلال الشهرين الماضيين تدابير لضمان حصول أكثر من 1، 5 مليون شخص يعيشون في مدينة حماة على مياه نظيفة من الحنفيات بعد أن تسبب القتال في إلحاق أضرار بشبكة المياه المحلية.

وقامت اللجنة الدولية مع الهلال الأحمر العربي السوري، في الوقت نفسه، بتوزيع مواد غذائية على حوالي مليون شخص داخل البلد وقدّمت المنظمتان في شهر تشرين الثاني مواد غذائية إلى ما يزيد عن 125 ألف شخص في محافظات الرقة واللاذقية ودمشق ودرعا وطرطوس وحماة والقنيطرة وحمص، ووزعتا مستلزمات منزلية أساسية مثل الفرش والبطانيات وأواني الطبخ على 37500 شخص آخر.

وحسب البيان فقد اضطلعت اللجنة الدولية خلال شهري تشرين الأول وتشرين الثاني، بتوفير مياه الشرب النظيفة لفائدة 1، 5 مليون شخص بعد أن تسبب القتال في إلحاق أضرار بالأنبوب الرئيسي للمياه الذي يربط حمص بحماة، وتقديم المساعدة من أجل التخلص من القمامة في إدلب، وتحسين الأوضاع الصحية لما يزيد عن 100 ألف شخص، ومواصلة توفير المبيدات الحشرية لرشّها في حلب، ويندرج ذلك في إطار الجهود المبذولة على مستوى هذه المدينة لمنع انتشار داء الليشمانيات، وتزويد مجالس المياه في جميع أنحاء البلاد بالخبرة التقنية والمعدات والتجهيزات والإمدادات الأساسية من قبيل المضخات والمولدات والكلور، وإصلاح مرافق المياه والإسكان والمرافق الصحية في 77 موقعاً من المواقع التي تستضيف 12500 نازح داخلي، وتوزيع مياه الشرب بواسطة الشاحنات على ما يزيد عن 107 ألاف شخص في حمص وريف دمشق ودير الزور.

كما عملت على تقديم ما يزيد عن 3500 زوج من الملابس الداخلية الشتوية وأكثر من 7000 زوج من الجوارب إلى المحتجزين في سجن حلب المركزي، وذلك من خلال فرع الهلال الأحمر العربي السوري في حلب، وتقديم طرود غذائية لما يزيد عن 750 ألف شخص في دمشق وحماة وحمص وطرطوس واللاذقية والسويداء ودرعا والقنيطرة والرقة وريف دمشق والحسكة وإدلب ودير الزور، وتقديم فرش وبطانيات لما يزيد عن 300 ألف شخص في دمشق وحماة وحمص واللاذقية والسويداء وريف دمشق ودرعا والقنيطرة وطرطوس والرقة وإدلب ودير الزور، وتوزيع قدور وصحون وأكواب وأدوات المائدة على 97500 شخص، وتوزيع علب شامبو وصابون

ومنظفات ولوازم النظافة الشخصية النسائية وغيرها من لوازم النظافة على ما يزيد عن 195 ألف شخص في المحافظات نفسها، وتقديم 355 طلباً إلى السلطات السورية للحصول على معلومات عن أشخاص يزعم أنهم محتجزون، وذلك بعد اتصال أسرهم باللجنة الدولية، تيسير عبور 22 طالباً بين الجولان ومناطق أخرى من سورية.

اللجنة الدولية للصليب الأحمر تعرب عن قلقها من ارتفاع عدد الضحايا المدنيين في حلب وتدعو جميع الأطراف إلى الامتثال لقواعد القانون الدولي الإنساني

أعربت اللجنة الدولية للصليب الأحمر عن قلقها البالغ إزاء العدد الكبير من الضحايا المدنيين المعلن عنهم في حلب، ودعت جميع الأطراف إلى الامتثال لقواعد القانون الدولي الإنساني،

وإلى التنبه باستمرار إلى ضرورة حماية المدنيين وحقن دمائهم، واتخاذ جميع الاحتياطات الممكنة لتجنب إصابة المدنيين وإحداث خسائر في الأرواح، ويُحظر شن الهجمات العشوائية. وحثت اللجنة في بيان لها جميع الأطراف على الامتناع عن استخدام الأسلحة المتفجرة التي تؤثر على مساحات واسعة في المناطق الحضرية والسكنية، وقالت: أن درجات البرودة القياسية تتسبب أيضاً في تزايد البؤس الذي يعاني منه الملايين من النازحين داخل سورية ومن اللاجئين في جميع أنحاء المنطقة في ظل موجة البرد التي تتعرض لها سورية، مشيرة إلى أنها تبذل ما في وسعها لمساعدة الملايين من الناس على الرغم من تصاعد العنف وتدهور الأوضاع الأمنية وتدني فرص الحصول على المساعدات الإنسانية.

وقال ماغني بارث رئيس بعثة اللجنة الدولية في سورية: أن عدد القتلى في ارتفاع، وقد قتل ما يزيد عن مائة شخص من المدنيين في حلب خلال الأيام الأخيرة وأصيب ما لا يقل عن نصف مليون شخص بجروح، ونزح الملايين، واحتجز عشرات الآلاف من الناس في البلد، وبدأت الإمدادات من المواد الغذائية وغيرها من الضروريات الأساسية في التناقص بشكل خطير، ولا سيما في المناطق المحاصرة، ومع ذلك، يزال من الصعب للغاية إغاثة الناس في سورية على الرغم من الطابع بالغ الاستعجال لهذه الحالة.

وأضاف: قُتل ما يزيد عن مائة شخص في الأسواق وأمام محطة للحافلات وفي أماكن أخرى من مناطق مكتظة بالناس عجّت المستشفيات المحلية، التي تكافح بالفعل لتدبير أمورها بالإمدادات المحدودة من الأدوية، بأعداد المصابين الذين يتدفقون إليها منذ يوم الأحد الماضي

وأعرب بارث عن أمله أن تسفر بيانات السلطات السورية التي تقرّ بضرورة زيادة حجم المساعدات الإنسانية المقدمة لضحايا الأحداث أن تسفر عن زيادة فرص الوصول إليهم، وقال: لا يزال من غير المسموح به لموظفي اللجنة الدولية الدخول إلى المناطق المحاصرة لتقديم المساعدات، بما فيها الإمدادات الطبية التي تشتد الحاجة إليها، إلى جميع الأشخاص المحتاجين، أيّاً كانوا، وحتى يتسنى إجراء تحسينات ذات مغزى لهذا الوضع، فسيكون من الضروري السماح للمرضى والجرحى، أينما كانوا، بتلقي الرعاية الطبية، والسماح بدخول الإمدادات الغذائية والطبية إلى المناطق المحاصرة، والترخيص للمنظمات الإنسانية المستقلة مثل اللجنة الدولية للصليب الأحمر بزيارة الأشخاص المحتجزين في إطار الأحداث الدائرة.

وأوضح أن فئات واسعة من السكان، ولا سيما في المناطق المتضررة بشكل مباشر من القتال، بما فيها تلك الواقعة شرق حلب، أن تحصل على الرعاية الصحية المناسبة، وأن الجرحى في معظم الأحيان لا يتلقون الرعاية المناسبة، ولا يحصل المصابون بأمراض مزمنة في الغالب على العلاج الذي يحتاجونه، وقال: أجبرنا اختطاف زملائنا على تقييد تنقلنا في بعض المناطق غير أنه لا ينبغي أن يدفع السوريون ثمن هذا التصرف الذي لا معنى له، ولهذا السبب سنواصل مع اقتراب حلول الشتاء واشتداد المعاناة، تقديم المساعدة إلى ملايين المحتاجين من الناس.

وبينت اللجنة في بيانها أن انعدام الأمن يؤثر تأثيراً بالغاً على قدرة المنظمات الإنسانية على العمل في سورية ويتضح هذا بشكل مأساوي في مقتل 32 متطوعاً من الهلال الأحمر العربي السوري منذ بداية النزاع، واختطاف جماعة مسلحة لثلاثة موظفين تابعين للجنة الدولية في إدلب في 13 تشرين الأول.

وعلى الرغم من هذه الحوادث، فإن الهلال الأحمر العربي السوري واللجنة الدولية يواصلان العمل مع مجالس المياه المحلية لتوفير مياه الشرب المأمونة لما يزيد عن 20 مليون سوري، واتخذ مهندسو المياه والصرف الصحي التابعون للجنة الدولية خلال الشهرين الماضيين تدابير لضمان حصول أكثر من 1.5 مليون شخص يعيشون في مدينة حماة على مياه نظيفة من الحنفيات بعد أن تسبب القتال في إلحاق أضرار بشبكة المياه المحلية.

وقامت اللجنة الدولية مع الهلال الأحمر العربي السوري، في الوقت نفسه، بتوزيع مواد غذائية على حوالي مليون شخص داخل البلد وقدّمت المنظمتان في شهر تشرين الثاني مواد غذائية إلى ما يزيد عن 125 ألف شخص في محافظات الرقة واللاذقية ودمشق ودرعا وطرطوس وحماة والقنيطرة وحمص، ووزعتا مستلزمات منزلية أساسية مثل الفرش والبطانيات وأواني الطبخ على 37500 شخص آخر.

وحسب البيان فقد اضطلعت اللجنة الدولية خلال شهري تشرين الأول وتشرين الثاني، بتوفير مياه الشرب النظيفة لفائدة 1، 5 مليون شخص بعد أن تسبب القتال في إلحاق أضرار بالأنبوب الرئيسي للمياه الذي يربط حمص بحماة، وتقديم المساعدة من أجل التخلص من القمامة في إدلب، وتحسين الأوضاع الصحية لما يزيد عن 100 ألف شخص، ومواصلة توفير المبيدات الحشرية لرشّها في حلب، ويندرج ذلك في إطار الجهود المبذولة على مستوى هذه المدينة لمنع انتشار داء الليشمانيات، وتزويد مجالس المياه في جميع أنحاء البلاد بالخبرة التقنية والمعدات والتجهيزات والإمدادات الأساسية من قبيل المضخات والمولدات والكلور، وإصلاح مرافق المياه والإسكان والمرافق الصحية في 77 موقعاً من المواقع التي تستضيف 12500 نازح داخلي، وتوزيع مياه الشرب بواسطة الشاحنات على ما يزيد عن 107 ألاف شخص في حمص وريف دمشق ودير الزور.

كما عملت على تقديم ما يزيد عن 3500 زوج من الملابس الداخلية الشتوية وأكثر من 7000 زوج من الجوارب إلى المحتجزين في سجن حلب المركزي، وذلك من خلال فرع الهلال الأحمر العربي السوري في حلب، وتقديم طرود غذائية لما يزيد عن 750 ألف شخص في دمشق وحماة وحمص وطرطوس واللاذقية والسويداء ودرعا والقنيطرة والرقة وريف دمشق والحسكة وإدلب ودير الزور، وتقديم فرش وبطانيات لما يزيد عن 300 ألف شخص، وتوزيع قدور وصحون وأكواب وأدوات المائدة على 97500 شخص، وتوزيع علب شامبو وصابون ومنظفات ولوازم النظافة الشخصية النسائية وغيرها من لوازم النظافة على ما يزيد عن 195 ألف شخص في المحافظات نفسها، وتقديم 355 طلباً إلى السلطات السورية للحصول على معلومات عن أشخاص يزعم أنهم محتجزون، وذلك بعد اتصال أسرهم باللجنة الدولية، تيسير عبور 22 طالباً بين الجولان ومناطق أخرى من سورية.

خيار المستقبل الوحيد

استحقاق دولة القانون والمساواة

■ ياسر مرزوق

شهد تاريخ سوريا منذ الاستقلال صراعات عديدة وكبيرة وناجحة دفاعاً عن الجمهورية ومؤسساتها في مواجهة مشاريع إذابتها في أنظمة تابعة ومجاورة ، تحت رداء المشروع الهاشمي تارةً أو الناصري تارة أخرى ، وعلى خلفية المشهد الترويعي الحديدي الذي نعيشه اليوم ، نقف أمام الاستحقاق الأخطر في تاريخنا المعاصر، وسوريا ما بعد الأسد تقف أمام خيارين أولهما تشتت عامودي طائفي وإثني وجهوي ومذهبي وعشائري وقبلي يودي بالبلد كله في داهية ، أو خيار دولة ديمقراطية يحددها السوريون عبر صناديق الاقتراع ، وملفنا اليوم إضاءةٌ على ماهية الدولة المدنية في سوريا ما بعد الأسد، فمن طبيعة الثورة حالما تنتهي من أعدائها أن تبدأ بالتهام أبنائها ممن يوصمون بأنهم خونة والغريب أنه دائماً يتضح ، في جميع الثورات بلا استثناء ، أن خونة الداخل هم أكثر تعداداً بكثير من أعداء الخارج ذلك أن المجتمع المثالي المؤمل لا يتصور إلا على أنه مثال لمجتمع متجانس ، والتصفية الدائمة هي طريقه المحتوم إلى مزيد من التجانس والمجتمع مطلق التجانس هو مجتمع يجهل الذاتية كما يجهل الآخر ، أي العمودين اللذين يقوم عليهما هيكل الديمقراطية وهنا يقع العبء الأكبر على المعارضة لتجنب الانتقال بالبلاد من دكتاتورية إلى أخرى مقنّعة ، وعلى المعارضين أن يكونوا ديمقراطيين فيما بينهم أولاً، وهم الذين لا يقرون بحرية الاعتقاد فيما بينهم أو بحق الاختلاف والانشقاق ، وهم الذين يسارعون إلى إصدار أحكام قيمة على الآخر استناداً لدائرة الداخل ودائرة الخارج.

ونقطة البدء في بناء المجتمع تعتمد على قبول الآخر والأخذ برأيه ومراعاة خصوصيته في الاعتبار وذلك على أساس ثقافة التسامح والانفتاح وبث الثقة بين الأفراد والجماعات والمكونات لمعالجة المشكلات، وأن تسبقه إشاعة القناعة لدى أفراد المجتمع على أنهم مواطنون متساوون في الحقوق والواجبات شركاء في الوطن ولهذا فإن عملية بناء المجتمع ينبغي أن تمر بمسارين:

الأول: إعادة بناء الدولة وضبط سلطتها وتطهيرها من الموروثات الاستبدادية.

الثاني: إجراء عملية تثقيفية شاملة تقوم على التنشئة السياسية والاجتماعية لتعبئة المجتمع وتأهيله بما ينسجم مع متطلبات الوضع الجديد وتأهيله عبر الأدوات والقنوات التربوية والتعليمية والإعلامية.

دولة القانون

تقترن دولة القانون بجملة مبادئ تُجسد الحقوق والحريات الإنسانية في الدولة على أساس المواطنة، وهذه الحقوق لا تتحقق بمجرد النص عليها في دستور الدولة وفي قوانينها، ولا تتحقق بمصادقة الدولة على اتفاقيات ومواثيق دولية بشأن تلك الحقوق والحريات، بل في نظام حكم يعترف، في إطار قانوني وتطبيقي، بحق المواطنين بأنهم أصحاب ومصدر السلطة الحقيقية.

وتصبح الدولة الديمقراطية مرادفة لدولة القانون في سياق نظام سياسي يقوم على مفهوم المواطنة. هذا التنظيم القانوني والسياسي هو الدولة الديمقراطية - دولة القانون التي تعترف بخضوع سلطة الحكم للقانون، كحال خضوع المحكومين له، حيث تشكل حقوق وحريات المواطنين في هذا القانون، قيوداً على الدولة. ولكي يقوم نظام الحكم هذا، من خلال قواعده ومؤسساته، بعمله على وجه سليم، يتطلب ذلك ضمانات تتلخص في المبادئ الآتية: سيادة القانون.. الفصل بين السلطتين المدنية والعسكرية.. الفصل بين السلطات.. استقلال السلطة القضائية.. تقرير الرقابة القضائية على دستورية القوانين.. تقرير الرقابة القضائية على تصرفات الإدارة وقراراتها.

من هنا، فإن مفهوم دولة القانون، يتجسد في خضوع سلطة الحكم للقانون. وما يقيد سلطة الحكم دستور يضع القواعد الأساسية لنظام الحكم في الدولة، ويقرر حقوق الأفراد والجماعات وحرياتهم. وبهذا يتحقق للأفراد مركز قانوني في مواجهة سلطة الحكم يكون ضماناً لهم في حرياتهم وحقوقهم. والقانون الذي تكون له السيادة في دولة القانون يجب أن يكون صادراً عن مجلس منتخب من الشعب، ولا يكون مخالفاً للدستور أو منطوياً على انحراف في استعمال السلطة التشريعية. وإذا لم يؤخذ بهذا المفهوم القانوني، عندئذ ينتفي معنى ومضمون دولة القانون.. لعدم وجود دولة بدون قوانين.

وإخضاع الدولة للقانون يعني في الواقع إخضاع سلطاتها لأحكام القواعد القانونية، والسلطة تميل دائماً لأن تكون مطلقة، وهذا ما حذر منه الفقيه مونتسيكو حيث أفاد بأن «السلطة مفسدة» و«السلطة المطلقة المفسدة مطلقة»، والدولة في ممارسة سلطاتها تتمثل بأشخاص يكونون بالغالب ثملين بالسلطة، والدولة -كما أشرنا آنفاً - تمارس تأثيراً كبيراً على تكوين القانون وتطبيقه، وبالتالي كيف يمكننا تفسير أو تبرير إخضاعها لهذا القانون.

وفي هذا الإطار يمكننا أن نميز بين عدة نظريات حاولت تبرير أو تفسير خضوع الدولة للقانون، هذه النظريات مبنية إما على أساس مذهب القانون الطبيعي، والذي نتج عنه نظرية القانون الطبيعي ونظرية الحقوق الفردية، وإما على أساس مذهب القانون الوضعي الذي نتج عنه نظرية التحديد الذاتي ونظرية التضامن الاجتماعي. " عن كتاب نظريات بناء الدولة للدكتور عبد الله الشرقاوي "

هذه النظريات الأربعة هي:

1 - نظرية القانون الطبيعي: يعتقد أنصار نظرية القانون الطبيعي بوجود قانونين: القانون الوضعي والقانون الطبيعي، حيث يرون بأن هناك قواعد قانونية عليا تعلو قواعد القانون الوضعي وتسمو عليها تسمى قواعد القانون الطبيعي، والقانون الطبيعي بحكم قانون الطبيعة سابق في وجوده وجود الدولة، فجميع سلطات الدولة يجب أن تلتزم بهذه القواعد، بل أن المشرع منشئ القانون الوضعي يجب أن يرجع إلى قواعد القانون الطبيعي مستلهماً منها فيما يضعه من قوانين، أي أن القانون الطبيعي يشكل مصدراً من مصادر التشريع الوضعي.

وترجع هذه النظرية إلى عهد قديم عندما أعلن الفيلسوف «أرسطو» أن الطبيعة هي مصدر العدالة وتُعبر عن العدالة المطلقة، إلا أن هذه النظرية تتسم بالغموض وصعوبة التحديد، ولا تصلح لتبرير خضوع الدولة للقانون، فقواعد القانون الطبيعي لا تعتبر قيداً قانونياً على إرادة الدولة، بل مجرد قيد أدبي أو سياسي قد تلتزم الدولة بها أو قد لا تلتزم، فهي لا تتمتع بأي جزاء مادي يضمن احترامها.

2 - نظرية الحقوق الفردية: تعتبر نظرية الحقوق الفردية نتيجة لمذهب القانون الطبيعي وبذلك تعتبر نتيجة لنظرية القانون الطبيعي، فقد اعتبر القانون الطبيعي بداية مصدراً أو أساساً لوجود الحقوق الفردية. فالفرد يتمتع بحقوق معينة، كان يتمتع بها في حياة العزلة "حالة الفطرة " السابقة لانضمامه إلى الجماعة السياسية بموجب العقد الاجتماعي، والدولة التي نشأت بعد ذلك، جاءت لحماية هذه الحقوق، وبالتالي يجب أن تتقيد الدولة بهذه الحقوق، وتمتنع عن إهدارها أو انتهاكها أو حتى المساس بها، وقد قامت هذه النظرية منذ ظهور نظرية العقد الاجتماعي، ثم بروزها على يد الفقيه روسو، وأصبحت نظرية الحقوق الفردية مستقلة وقائمة بذاتها.

وقد لاقت هذه النظرية تأييداً كبيراً من قبل رجال الثورة الفرنسية، وتم النص على مضمونها في المادة الأولى من إعلان حقوق الإنسان والمواطن الصادر عن هذه الثورة سنة 1789، وفي دستور سنة 1791 حيث ورد في مقدمة هذا الدستور "ليس للسلطة التشريعية أن تسن أي قانون يتضمن مساساً أو عرقلة لممارسة الحقوق الطبيعية والمدنية المدرجة في هذا الجزء والمكفولة من الدستور".

3 - نظرية التحديد الذاتي: نشأت نظرية التحديد الذاتي لدى الفقه الألماني ووجدت أنصاراً لها في الفقه الفرنسي ويرى القائلون بهذه النظرية أن الدولة لا تخضع لأي قيد من القيود إلا إذا كان ناشئاً عن إرادتها الذاتية، فالقانون من صنع الدولة وهي تلتزم به، أي أن الدولة تلتزم بالقانون الذي تضعه لأنه ملزم لها كما هو ملزم للأفراد، وهذا الأمر لا يتناقض مع فكرة سيادة الدولة، لأن مفهوم سيادة الدولة لا يعني أبداً بأن سلطان الدولة مطلق وبلا حدود، فمفهوم سيادة الدولة، إذا كان يأبى أن تخضع سلطة الدولة لقيود من سلطة أعلى أو سلطة خارجية، لا يتعارض مع خضوع سلطة الدولة للقواعد القانونية التي تضعها بنفسها وبمحض إرادتها، فالدولة عندما تضع قواعد ملزمة للأفراد لا بد أن تلتزم هي بها في نفس الوقت، وإلا كنا إزاء فرض في غاية الغرابة: وجود قواعد قانونية في النظام القانوني ملزمة وغير ملزمة في نفس الوقت، وأن القانون ليس في ذاته غاية، وإنما هو وسيلة لتحقيق غاية، وهي ضمان أمن الدولة والمحافظة على بقائها، وبغير ذلك تحل الفوضى وتتعرض الدولة للانهيار.

ورغم اقتراب نظرية التحديد الذاتي للإرادة من الواقع العملي والانسجام معه في ممارسة الدولة لسيادتها، فإن سهام النقد قد وجهت إليها من جانب عدد من الفقهاء، على أساس أن الدولة لا تُقيد نفسها بإرادتها عن طريق القوانين التي تسنها وتعدلها، وذلك لأن القيد الحقيقي الوارد على سلطات الدولة، والذي بمقتضاه تكون مرغمة على الحد من سلطاتها هو القانون الطبيعي، طبقاً لنظرية القانون الطبيعي التي يؤيدانها.

من حي جوبر الدمشقي

4 - نظرية التضامن الاجتماعي : تقوم على أساس أن عند الإنسان شعوراً بالعدل والظلم أفرزه الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه بشكل عفوي، يولّد فكرة ما يجب أن يكون القانون، هذه الفكرة تترجم مباشرةً من خلال أخلاق وعادات تُشكل ما يسمى من بالقانون الوضعي لتمييزه عن القانون الطبيعي، والحكام بحسب هذه النظرية لا يملكون حق التشريع بأنفسهم، فالقانون لا يؤسس على إرادة الحكام ولا يكون لإرادتهم شأن في صنعه، فالقانون لا يكتسب صفته بسبب إصداره من سلطة عامة، وإنما يكتسب صفته بسبب اتفاقية مع مستلزمات التضامن الاجتماعي والعدالة، فالقواعد القانونية إذن تنشأ بمجرد أن يستقر في ضمير الجماعة ضرورة وجودها، فتكتسب صفتها القانونية لذاتها بحكم ضرورتها، أي أنها تنشأ بصفة تلقائية كظاهرة اجتماعية وطبيعية دون تدخل لإرادة الدولة أو الحكام في وجودها، فالقانون يعتبر مصدره خارجاً عن إرادة الدولة، وبالتالي فإن خضوع الدولة للقانون أساسه قيد خارجي فرضت وجوده فكرة التضامن الاجتماعي.

ويقول أنصار نظرية التضامن الاجتماعي : إن الإنسان عاش دائماً في داخل الجماعة، لأنه يحتاج بصفة مستمرة إلى التضامن لإشباع حاجاته عن طريق الاشتراك لإشباع الحاجات المتشابهة، وهو ما يُطلق عليه «التضامن بالتشابه»، أو عن طريق تبادل المنافع نتيجة لاختلال الحاجات والقدرات، ويُطلق عليه «التضامن بتقسيم العمل»، وبناءً على ذلك فإن التضامن الاجتماعي حقيقة واقعة، يستند إليها القانون ويستمد منها الصفة الإلزامية، وأن ضمير الجماعة يعتبر منبع القاعدة القانونية ومصدرها، وشعور الأفراد بضرورة احترام التضامن فيما بينهم هو الجزاء على مخالفة هذه القاعدة القانونية، وهكذا تفرض قاعدة التضامن الاجتماعي -باعتبارها أساساً لخضوع الدولة للقانون - على الجميع -حكاماً ومحكومين - الالتزام بها والامتناع عن كل تصرف يشكل خرقاً لها، بل والعمل على تنميتها.

مقومات دولة القانون

هناك مقومات أساسية لخضوع الدولة الحديثة للقانون أي حتى تكون دولة قانونية، وهذه المقومات تعتبر ضمانات لقيام دولة القانون وهي:

1 - الدستور: الدستور هو الضمانة الأساسية لقيام دولة القانون. فهو الذي يبين نظام الحكم في الدولة وتشكيل السلطات العامة وتوزيع الاختصاصات بينها وكيفية ممارستها كما يبين حقوق الأفراد والوسائل اللازمة لضمانها وصيانتها. فالدستور يشكل قيداً قانونياً لسلطات الدولة حيث يبين حدود واختصاص كل سلطة بحيث لا تستطيع تجاوزها وإلا تكون قد خالفت أحكام الدستور، وفقدت السند الشرعي لتصرفها. وأفضل أسلوب لوضع دستور عصري حديث يكون عن طريق جمعية تأسيسية منتخبة من قبل الشعب تكون مهمتها وضع دستور للدولة ومن ثم عرضه للاستفتاء العام من قبل الشعب بعد ان تكون الجمعية التأسيسية قد أقرته بالإجماع وليس بالغالبية المطلقة، وذلك لضمان أن يكون الدستور لكل أفراد الشعب بمختلف انتماءاتهم القومية والدينية والمذهبية، والدستور الذي تضعه الغالبية السياسية لن يكون دستوراً لكل الشعب.

2 - الفصل بين السلطات: يُعتبر مبدأ الفصل بين السلطات أحد أهم المبادئ الدستورية الأساسية في الدول الديمقراطية، ويُعني وجوب الفصل بين السلطات الدستورية الأساسية: التشريعية والتنفيذية والقضائية، ويقصد بالفصل بين السلطات الفصل الشكلي أو العضوي: أي توجد هيئة أو سلطة عامة تتولى وظيفة التشريع وهيئة أو سلطة عامة تتولى وظيفة التنفيذ وهيئة أو سلطة عامة تتولى وظيفة القضاء.

3 - رقابة القضاء: إذا كان مبدأ الفصل بين السلطات يُشكل نوعاً من الرقابة السياسية التي تُعني أن كل سلطة عامة تملك الوسائل الكفيلة بالحد من تعسف أو تجاوز السلطات العامة الأخرى، فإن الرقابة القضائية تعتبر الوسيلة الأمثل لصيانة وحماية حقوق وحريات الأفراد، لأنها تتفوق على الرقابة السياسية والرقابة الإدارية، سواء فيما يتعلق بخضوع السلطة التنفيذية أو الإدارة للقانون، أو بتعبير أدق لسيادة القانون، أم في خضوع السلطة التشريعية للدستور.

وتجدر الإشارة إلى أن قانونية الدولة تنعكس مباشرةً على المجال الاقتصادي ، بحيث تترك الأبواب مشرعة للإنتاج والتطوير الاقتصادي على قاعدة الخضوع للقانون ، والمساواة بين جميع المواطنين في معرض تطبيقه مما يؤدي حكماً إلى إلغاء الامتيازات الاقتصادية والضريبية وإلزامية أداء الضرائب ومستحقات الدولة بالنسبة للجميع، وتلغي الزواج التقليدي بين رأس المال والسلطة والذي حكم الواقع السوري لعقودٍ طويلة

في الختام لابد من التأكيد على أن دولة القانون هي الصيغة التنظيمية السياسية التي تنقلب فيها العلاقة بين الفرد والدولة، بين الحاكم والمحكوم رأساً على عقب فالدولة التقليدية تعتبر الحقوق هبات تتكرم بها على رعاياها مميزة بينهم تمييزاً استثنائياً في حين أن دولة القانون والحق ترى نفسها تعبيراً عن المواطن وتجسيداً مؤسسياً ضامناً لحقوقه. كما أنها لا تحمل أية مزاعم اجتماعية أو أخلاقية في العدالة الاجتماعية بل هي مجرد تنظيم لمسألة السلطة بهدف توفير الشروط الدنيا لانطلاق عملية التنافس الاجتماعي ومن ثم فإن مصدر قوتها يتمثل في تحقيق التساوي القانوني بين الناس أي تساوي شروط وظروف حدوث وجريان مختلف العمليات الاجتماعية بما فيها السيرورة السياسية الذاتية.

قصة الدم في سوريا دخلت عامها الثالث ولا حلول في الأفق ، لكن اليقين أن عقارب الساعة لا ترجع إلى الوراء أبداً، وأن النظم القمعيّة لا تواجه شعبها بآلتها العسكريّة الكاملة إلا بعد أن تيْئَس تماماً فتقرر أن تخوض معركتها الأخيرة. والتاريخ أيضًا يؤكد أن الحكام الطغاة الذين خاضوا هذه المعركة الأخيرة ضد شعوبهم، لم تنفعْهم أسلحتهم ولا معاركهم الأخيرة، وإنما كانت النهاية المحتومة هي سقوط أنظمتهم القمعية ، قريباً جداً ستقطف الثورة السورية ثمارها ، ويقف السوريون أمام استحقاق المستقبل ، والطريق لن يكوم ممهداً ، فكما ذكرنا سابقاً سقوط النظام هو البداية.

ثورة تودع عام 2013

وهي تهزم أكبر الأوهام والأكاذيب

■ الياس س الياس

الطفل الذي يقطع مسافات مشيا على الأقدام مع من تبقى من أهله وأقاربه هربا من ويلات القصف ورعبا من المذبحة الملاحقة لقريته أو مدينته، قد لا تبدو عليه أي من علامات الاضطراب المرافقة للصدمات التي يتعرض لها هو وأهله.. الطفل الذي يعيش حالة الحصار ويرى بعينيه عجز أهله عن تأمين لقمة العيش وأناس يصابون بالهزال والموت جوعا هو ذاته الطفل الذي شاهد بأم عينه طائرة جيش بلده مرسلة من رئيس دولته لتقصف مدرسته وشارعه وبيته.. هو الطفل عينه الذي تجده حول العالم يحلم أن يكون طيارا ذات يوم أو طبيبا ومهندسا ومحاميا ورجل إسعاف وإطفاء.. لكنه في الحالة السورية ليس كأي طفل / طفلة.. ملايين منهم باتوا بلا مأوى ولا مدارس ولا حتى غذاء.. لاجئون ونازحون داخل وخارج بلادهم.. تتراكم في نفسياتهم الصدمات التي لم تثر حتى المؤسسات الدولية الإنسانية المشغولة كأقصى حد بإصدار الأرقام والإحصاءات الدالة ربما على حجم الكارثة.

لنعد قليلا إلى حيث كانت الثورة السورية تتركز في حراك شعبي ذات طابع تظاهري يهتف فيه الناس ضد الاستبداد ومطالبين بالحرية.. ربما تكون الصدمة الأولى للفئة العمرية التي جربت المدرسة ونظام التعليم في سوريا الأشد إدراكا لحجم التناقض بين النظري والعملي في ممارسة " دولته".. في المدرسة: وحدة حرية اشتراكية.. في الواقع: قنص وقتل وتهكم واعتقال وإذلال تحت سؤال: بدكن حرية..

أولى التناقضات التي أشعلت عند الأطفال واليافعين ذلك الإمعان في التركيز الاستبدادي على إهانة الأب والأم والأخت والأخ وربما الجار والقريب عند حاجز ما لمن كان هذا الطفل واليافع يظن بأنه جيش وأمن بلاده.. ذلك الواقف عند سيارة نقل عمومي حين يُمعن في إذلال الناس وإنزال ربما شاب وضربه قبل اعتقاله لا يدرك ما تفعله عملية التنكيل التي يمارسها في نفسيات فئة عمرية ترى في الأب والأم خطي الدفاع الأولين أمام العالم كله.. أقوى شخصية في نظر الطفل هو الأب وهي الأم وبمجرد انكسار بصفعة أو إهانة حتى لفظية ينكسر الشيء الكثير الذي ربما أدرك أبعاده الديكتاتور بشار حين راح يتحدث عن تلك الفئة العمرية في خطاب على مدرج جامعة دمشق.. الحل: قتل ذلك الجيل وطرده من بلده واعتقاله وتعذيبه حتى الموت.. قصة حمزة الخطيب وثامر الشرعي وهاجر الخطيب من القصص التي عرفها الناس.. في الواقع هناك ملايين القصص التي لم يتسنى للناس التفكير فيها مليا وهي التي لا تخص فقط طفل يحبس دموعه متسائلا ببراءة: ماذا فعلنا نحن له ليدمر بيتنا ومدرستنا؟ هل لأننا طالبنا بالحرية؟ هذا الطفل الذي قد تجده عند أطلال مدرسته يقلب الركام والدفاتر الممزقة وأمام ركام بيت ولد فيه يقلب أغراضه المتناثرة ولعبه البسيطة هو طفل يعيش الصدمة ولم يلقنه أحد ليقول ما يقوله بدموع يحاول حبسها.. أو تلك الطفلة من مدينة داريا التي تم إيقاظها ليلا وعلى عجل ليهرب الأهالي بعد أن هجم " جيش بلادها وأمنه" على بيوت أقاربها فتمسك بثوب أمها باكية مقتل خالها وصارخة بالاسم على بشار لم يلقنها أيضاً إنسان لتقول ما قالته..

الطفل والطفلة في سوريا ليسوا أميين، بل يعرفون ما كُتب على الجدران في منازلهم بدرعا وغيرها.. يقرأون الجمل التي خطها " جيش بلادهم" (مفهوم الشبيحة عند هؤلاء كان مشوشا وغير واضح، فمن يحمل السلاح عادة في بلدهم هم من الدولة وليس سوى الجيش والشرطة) فعبارات: الأسد أو نحرق البلد والأسد أو لا أحد وشبيحة للأبد لأجل عيونك يا أسد وربكن بيسقط وبشار ما بيسقط وغيرها وغيرها من الشعارات التي لم تكن مجرد نزوة من جندي أو شبيح بل منهجية الإذلال والتحدي بوجه شعب طالب بالحرية قبل أن ترفع بندقية واحدة بوجه هذا التغول والاستهتار..

اقتلاع الإنسان من مكانه ورميه في العراء ليواجه مصيرا مؤلما في الحر والشتاء وبخذلان كبير وشماتة تصل إلى مسامعه مع اتهامات كتلك التي كانت تُعقد فيها حفلات تلفزيونية على قنوات سورية يشارك فيها " نخب" من جامعة دمشق ومنهم بحضور من يسمى اليوم وزير الإعلام عمران الزعبي بحيث تتركز على: هؤلاء الذين يسمونهم لاجئون في تركيا لهم تسعيرة هم يأخذونهم إلى هناك ويمنحونهم عشرون ألف دولار..! أمعنت قناة الدنيا في امتهان كرامة وعقول السوريين باتهامهم بشتى الاتهامات وهم يهيمون على وجوههم بأطفالهم هربا من " جيش بلادهم" نحو أية حدود قريبة وكانت البداية من جسر الشغور التي توعدوها كما توعدوا كل القرى والمدن بإحالتها إلى "مزارع بطاطا".. الطفل واليافع جزء من المجتمع المقتلع من أرضه ومن الجماعة التي تعيش صدمتها الأولى غير مصدقة بأن يقال ما قيل ويقال بحقها وهو (الطفل) الأكثر استشعارا بما يدور حوله من تصرفات وأحاديث.. يتناقل في لحظتها هؤلاء اليافعون ما جرى ويجري لبلدهم دون حاجة لتلك التعابير السخيفة التي كان إعلام العصابة الأسدية يبثها لمريديه في مزيد من الاحتقار لمطلب الناس وكرامتهم..

من النقاط التي أثير حولها الكثير من التحذيرات:

- أن تقيم مظاهر احتفالية في ساحات دمشقية وغيرها في عام 2011 وبداية 2012 ترقص وتغني وتتغنى بشبيحة يقتلون قنصا واقتحاما وذبحا بحفلات موت متنقل بالباصات الخضراء ليس بعيدا عن أماكن الجريمة كيلو مترات معدودة وصورة بشار ترتفع على البنك المركزي في ساحة السبع بحرات وسط دمشق بينما دوما وحرستا مثلا كانتا تعانيان الأمرين مع القابون التي ارتكبت فيها مذبحة لمجرد التفكير بعقد مؤتمر عبر الفيديو كونفرنس مربوط مع معارضين ومثقفين سوريين في تركيا.. بالنتيجة وقف بشار ليعلن صراحة: لا أستطيع أن أكون رئيسا لكل السوريين! أي أن سورية هؤلاء مشكوك فيها منذ البداية.. والبداية التي نتحدث عنها تلك التي لم يكن يصدق فيها البعض سوى ما تبثه قناة " المطر" التي ظلت منذ ابريل 2011 تمعن في ذلك النوع من احتقار مهنة الإعلام والعقل السوري بتوجيهه نحو تكرار عبارة أو اثنتين: المؤامرة والأمن والأمان..

ما من شك بأن وسائل الدعاية الأسدية لم تكن تتصرف اعتباطا ومن رأسها بل موجهة بما يفسح المجال أمام خلق الشرخ المطلوب: هذا ريف متخلف يتمرد على المجتمع المتحضر والمتعلم بدافع الغيرة والحسد.. هؤلاء لا يستحقون الحياة وعليه فلنفرح لقتلهم وتلقينهم درسا لن يطالبوا بعده بالحرية..

ليس غريبا ذلك الذي صدمته فنون أكاذيب قنوات انتدب لها لكل من يُظن بأنه مؤثر وقادر على التشويش.. لدى اليافع حب مثلا لفنان وفنانة ما.. لمطرب أو مطربة.. لممثل أو لاعب كرة قدم أو رياضي يجلس هؤلاء في حضرة مذيعي تلك القنوات وأحيانا في الهواء الطلق ليمارسوا درس التشويش والكذب ودعوة الناس للتعقل وبأن مطالبهم تم الاستجابة لها بينما الواقع يكون مزيد من القتل الصادم وإرسال الدبابات إلى درعا ومحاصرتها واعتقال شباب صغير السن لتبث معه مقابلات تلفزيونية توحي بأنه متورط في " التخريب" وعضو في " العصابات المسلحة" التي وصل بها الأمر إلى " قيامها في درعا برمي الحجارة على قوات حفظ الأمن"! التفكك والركاكة في التمثيل المرتبك رغم كل الإمكانات الموضوعة وصلت حدا يتهم الأطفال السوريين ومن وراءهم أهاليهم برواية كررها بشار بنفسه بما يوحي أن سوريا ليست أمام حكم دولة بل عصابة لا علاقة لها بالمنطق.. والمشاهد إذ تصله مثل تلك الروايات فهي تصل بالتأكيد إلى تلك الفئة العمرية:

- الناس مأجورون وعملاء ورخيصون جدا.. هؤلاء يخرجون في المظاهرات لقاء 500 ليرة سورية.. هؤلاء يشاركون العصابات المسلحة لقاء 2500 ليرة سورية.. في حماة يتم توزيع " سندويشات" وفيها مادة مخدرة و500 ليرة سورية..

بمعنى من المعاني أسس بشار لمدرسة من الكذب تشبه مدرسة لا تقيم وزنا سوى لحجم الكذبة المشابهة مثلا لكذبة يجب تصديقها طالما هي صدرت عن " قناة سورية" كونها القناة الوحيدة الصادقة.. تخيل معي مثلا عدم تصديقك حينها لرواية تقول وبفيلم يظهر لك " الحقيقة": - هذه حبوب الهلوسة مختوم عليها شعار قناة الجزيرة قامت القناة بإرسالها من مصانعها في قطر للتغرير بالشباب والأطفال السوريين.. - يجلس خبراء في تلك القنوات وهم يشرحون بإسهاب كيف أن متظاهرين في الجيزة وبقية مدن حوران وريف دمشق يتم "رشهم بمادة" تهيجهم وتجعلهم غير مدركين لما يقومون به.. طبعا نحن نتحدث عن عشرات الآلاف من المتظاهرين صيف 2011 حيث الشمس الحارقة وحاجة الناس للترطيب بالماء المتحول في عقلية " المؤامرة " إلى مواد مُهلوسة..

مقدمات كل ذلك وغيره من المقدمات التي كان يظن البعض أنها مدعاة للسخرية والضحك ليس إلا هي التي أسست لشرعنة الإبادة التي تجري في سوريا على مدار الساعة مع تقسيم وشرخ واضح في بنية المجتمع السوري المتحول أطفاله وشبابه إلى متهمون ومنبوذون ومختطفون نحو أقبية " أمنهم الوطني" ليلقى بهم جثثا على دفعات باعتبار لا قيمة لهم كونهم متآمرون..

أعراض ما بعد الصدمة عند هؤلاء الذين وجدوا أنفسهم اليوم مشبوهون على خلفية اللوحة التي جهزها أبواق بشار المحليين والإقليمين وصلت إلى حد تحويل تقاطعات شوارع دمشق ومناطق سيطرة شبيحة ومرتزقة بشار إلى مصائد على الهوية.. وهذه نقطة لا تحتاج " القنوات المغرضة" لعرضها وهي في الحقيقة لا تتطرق لها بالأصل وهي المتهمة بأنها وراء كل ما ثار من أجله السوريون.. أطفال ونساء وشباب حمص المهجرون إلى دمشق يعرفون كيف جرى ملاحقتهم كمشبوهين وكيف كانت حماسة مسيرات بشار تهتف لتهين الأم الحمصية بلسان شبيحة يقدمون كمواطنين عفويين تلتقيهم بالصدفة كاميرات الدعاية الأسدية البائسة..

ذهب بشار بنفسه متخفيا إلى بابا عمرو ووقف تحت عمود كهربائي بمشهد هزلي يؤكد بأن الإصلاح سيتم خلال فترة بسيطة وسيعود الناس إلى هناك.. جيء بموالين له من أحياء معينة وهو يعرف بأنهم ليسوا من سكان بابا عمرو ورغم ذلك مر كل الوقت ولم يعد أحد لا لبابا عمرو ولا لأي حي سوري قيل " تم دحر الإرهابيين عنه ودمرت أوكارهم".. هؤلاء بالملايين وليسوا ببضعة آلاف تتحدث منظمات الأمم المتحدة عنهم بتفصيل رقمي وعن المدارس التي تم تدميرها وعن تلك التي تم تحويلها إلى ثكنات عسكرية كالتي ظهر فيها مراسل التلفزيون السوري في حلب شادي حلوة (مدرسة الكواكبي) وهو يساهم في تدريب جنود وشبيحة بشار في المدرسة.. وبكل كذب مفضوح يقولون للمشاهد: لقد تم تدمير مشفى الكندي.. فهذه هي حريتهم التي يريدون؟

هم يعرفون بأنهم يكذبون تماما وبأن الناس تعرف كم التضليل والكذب الذي تعيشه عصابة تظن نفسها دولة.. ليس مشفى الكندي وحده يدل على الكذبة، بل كل المشافي والمستوصفات التي تم قصفها وتدميرها يشهد الناس عليها كما يشهدون اليوم إلقاء البراميل المتفجرة على حلب ومدن الشمال السوري ثم يذهبون بمن فيهم بشار للكذب: نعم حتى هؤلاء الأطفال والنساء هم أهالي الإرهابيين القطريين والشيشان والباكستانيين والسعوديين والأفغان.. أي أنهم يعترفون بقتل النساء والأطفال ولكن هؤلاء ليسوا بسوريين! أحيانا تسأل نفسك عبثا بعد كل الوقت الذي مورس فيه هذا الكذب: كيف يصدق البعض أن عوائل سعودية وقطرية تقيم في أكثر الأماكن فقرا في حلب ليتم قصفها بالبراميل المتفجرة؟ وكيف يشمت هؤلاء بمناظر أم حلبية تمسك بطفليها وهي مدماة خارجة من تحت الركام باعتبارها قطرية أو أفغانية؟

القصة تجاوزت مجرد كذبة على قنوات الأسد وعلى لسانه.. فمؤخرا نشر فراس الشوفي من جريدة " الأخبار " التابعة لإبراهيم الأمين تقريرا صحفيا يندى له جبين الصحافة اللبنانية والعربية / مثل تقرير حسن عليق من حي الميدان حين استنتج لذات الصحيفة بأن المصلين في مسجد الحسن من المتظاهرين يوم الجمعة ليسوا من سكان المنطقة أي أن إبراهيم شيبان الطفل الذي قتل قنصا بعد صلاة الجمعة ما كان يجب أن يكون في مسجد الحسن لأنه ميداني يسكن في منطقة أخرى والنتيجة " حلال قتله" / فمن إدلب يكشف الشوفي الوجه القبيح للعب الطائفي لجريدة الأخبار: - أسلمة دروز ريف إدلب! نعم هكذا وبكل بساطة مع صورة لنساء درزيات على أساس أنهن أسلمن بالقوة يحملن القرآن ويغطين رؤوسهن بالوشاح الأبيض.. لكن الصورة أبدا ليست من إدلب ولا لدرزيات بل من أفغانستان ولأفغانيات وربما باكستانيات يرتدين ذات الوشاح الأبيض.. حدود التزوير لا يتوقف عنها ولا عندها إبراهيم الأمين وقنوات " الممانعة" بالرغم من نفي دروز إدلب كل هذا الهراء.. لن ترى اعتذارا واحدا لأننا أمام مسلسل عمره 3 سنوات من الأضاليل والتدجيل وشيطنة الشعب السوري وثورته..

فإذا كانت كل البدايات قائمة على صناعة الكذب، فهل لعاقل أن يتوقع ولو مرة واحدة أن يتم التوقف عنها؟ أبدا، النظام الاستبدادي الذي غرق في فاشية قائمة على الكذب لن يتوقف عنها لأن التوقف يعني النهايات والسقوط المدوي وبالرغم من ذلك الإصرار على الكذب والإمعان بالدجل واحتقار الناس يشكل ورطة أخرى ستؤدي حتما إلى نهايات قد لا تعجب من ظن بأن إسقاط نظام فاشي يعني إسقاط الدولة السورية.. فمن ربط الدولة السورية بوجود نظام عصابات بتماه كامل ليس سوى ذات العصابات..

من لا يتذكر كل الجهد الدعائي الذي نُصب له حفنة من المشوشين الذين لم يسمع بهم السوريون سابقا، طالب إبراهيم وشريف شحادة وبسام أبو عبد الله وشركاؤهم حين كانوا ينفون نفيا يعاكس الواقع تماما عن وجود شيء اسمه " الشبيحة".. فمن الذي كان يهتف في الأمويين والسبع بحرات ومدرج الجامعة ودار الأوبرا " شبيحة للأبد لأجل عيونك يا أسد"؟.. لندع هذه الكذبة التي يعرفون إنها كبيرة واحتاجت عملية تقنين الشبيحة باسم: جيش الدفاع.. شبيه بتقنين عصابات شتيرن وارغون الصهيونية.. حين كان يشاهد السوريون في بداية انطلاق الثورة هؤلاء الرجال الذين يرتدون اللباس العسكري وشبه العسكري ويضعون الجعب العسكرية على صدورهم، ألم يتساءلوا: كيف يمكن لهؤلاء الجنود أن يكونوا ملتحين ويرتدون أحذية رياضية؟! مفتولي العضلات الذين يطلقون لحاهم ودخلوا إلى ساحة الساعة في حمص ليهتفوا ضد العلويين ووقع هاتف احدهم وهو يهرب من المتظاهرين، هل كانوا يتصرفون من تلقاء أنفسهم؟ أهالي حوران حين كانوا يقولون في شهري أبريل ومايو 2011 بأن عصابات لحزب الله تشارك في قمعهم وجرى تكذيب الأمر حتى خرجت الأفلام المسربة التي أثبتت أنه حتى في جامعة دمشق وشوارعها كان هؤلاء يضعون أشرطة تميزهم وبلكنة لبنانية واضحة لم يكن من نسج خيال الشعب السوري الذي يستمر خداعه والكذب عليه على وهم انتصار ما يشبه انتصارات رفيق نصر الله وناصر قنديل اللبنانيين وتحليلات عرافي ودجالي لبنان من تخلف قراءة الطالع واستقبالهم في قنوات الدعاية كلعب دعائي نفسي.. شارك فيه حتى ميشيل عون بتحديد يوم " الثلاثاء" لتوكيد قصة: خلصت!

أحد أحياء جنوب دمشق المدمرة | سبتمبر 2013

هل كان السوريون الذين ثاروا سلميا بوجه سلطة متعفنة ومستبدة لمن يحرضهم من على " قنوات سفك الدم السوري" ليتعرفوا على كرامتهم ومطلب حريتهم؟! بالتأكيد في عرف التهافت الدعائي المقرف الذي ساهم فيه حسن نصر الله وبعثيي لبنان وطائفيي العراق وإيران لم تكن سوريا تعنيهم بشيء بمقدار ما هي معبر ومرور لقذارة معروفة من مطار دمشق الدولي ومعابر الحدود البرية.. والحفاظ على امتيازات طائفية ومذهبية..

أظن جازما بأن كل الأكاذيب التاريخية التي خبرها السوريون مع نظام استبدادي توريثي، بالمناسبة يصرون على أن بشار رئيس شرعي رغم أنه وراثي ودستور عدل على مقاسه ومنح رتبة عسكرية متجاوزا كل المطلق العسكري، كانت الحافز الأكبر لثورة السوريين الذين وجدوا أن التشوه الذي أصابهم وأصاب وطنهم وصل أوجه بمعاتيه يشبهون هلال الأسد وجميل الأسد ورفعت أسد وكل آل الأسد ومخلوف وهم الذين لم تعرفهم فقط القرداحة واللاذقية بل حتى دمشق وبقية محافظات سورية برعونة وخفة لم تشهدها حتى كوريا الشمالية بهذه الوقاحة العلنية في استعباد البشر واعتبار سلالة الأسد آلهة يجب أن تعبد كما يعبدون بهتافاتهم ماهر أسد كبديل عن بشار الذي حُرقت أوراقه جميعها..

ما يواجهه الشعب السوري في درب الخلاص ليس "رئيس " مغتصب للسلطة والبلد بل منظومة متخلفة ومشوهة تعاني كل ما يمكن أن يعانيه البشر من تشوهات وانفصام وأمراض يراد فرضها لتكون هي الصورة الأوحد لسوريا بفساد وإفساد يشبه تماما ما يعايشه الإنسان السوري (مواليا كان أم معارضا) على حواجز تسلب الإنسان حتى سجائره وعلبة الدواء وربطة الخبز.. وقس على ذلك مؤسسات منهارة وبنية تحتية عاجزة منذ السبعينات بفعل الرشوة والمحسوبيات وتهجير العقول والسوريين بعيدا عن وطنهم ليجدوا فرصة بالعيش الكريم وحتى لا ينتهي بهم الحال كما انتهى برفاق حافظ الذين زج بهم في السجون حتى الموت.. بنى تحتية شديدة التخلف وهي بالنسبة للبعض قمة التقدم إذا ما قورنت فقط بما هي عليه وليس بما هو حق من حقوق البشر الذين لم يشهد تاريخ أن دفع الناس ثمن السلاح الذي يقتلون به بما فيه هذه الأسلحة الكيميائية التي سلمها دون أن ترف قوانين الخيانة العظمى في سبيل وهم بقاء منظومة العصابة الحاكمة..

تكشف الأكاذيب أصاب الناس بصدمة، حتى هؤلاء " القومجيين" من تونس إلى مصر فالأردن ولبنان باتوا يدركون حجم الكارثة التي وصلت إليها سوريا واستحالة أن يصدقهم أحد بعد اليوم رغم كل الجهد الذي اشتغل من خلاله هؤلاء لترسيخ عملية النصب والاحتيال لشيطنة الثورة السورية وجعلها ليس إلا مواجهة طائفية باستدعاءات واضحة لمرتزقة سبق أن تحدثنا بالتفصيل عنهم رغم ادعاءات " العلمانية" التي يتغطى بلحافها نظام هجر نصف الشعب السوري والأقليات المسيحية تحديدا منذ عهد الأب على عكس إشاعة الكذبة بأنه لولا هؤلاء المعاتيه الأسديين لم يكن ليكون هناك مسيحية في الشرق.. انكشف جبن الاستبداد أمام العدو الخارجي بما لا يدع مجالا للشك بأن التنمر الداخلي يقوم على ثقة بأن أحد في الحقيقة لا يساعد الثورة السورية كما ينبغي وأنه لا أحد سيتدخل بفعل المنظومة الخدمية لسلطة الاستبداد وقيامها بتدمير سوريا وما كان فيها من مقدرات وتحويلها إلى لعبة روسية إيرانية بهوامش لعصابات ممتدة من بيروت إلى العراق بنفس طائفي يسعد الإسرائيليين الذين يرون في بشار ومنظومته أكثر من قدم لهم خدمة في المحيط العربي.. ولو تحت مسمى الممانعة..

من الصحيح بأن نصف الشعب السوري مع نهاية عام 2013 مهجر وبلده شبه مدمر.. ومن الصحيح بأن هذه العصابات الحاكمة توحي للناس أنها باقية كالقدر المحتوم.. لكن الحقيقة غير ما تظهر في وسائل الدعاية والكذب.. وكأي شعب كافح لاستقلاله وبهذه القوة وهذه البطولة والإصرار ورغم التخاذل ومحاولات وضع الناس في خيارين بسن الاستبداد وتلك العصابات الصنيعة للاستبداد إلا أن ما قطعه الشعب السوري هو الشوط الأكبر في كل الثورات العربية وليس بالشعب الساذج ولا المستسلم والخانع ولا هو يضحي بكل حياته لأجل حفنة من المال كما ذهبت تفاهة إعلام الأسد وأبواقه المفلسة اليوم في سوريا ولبنان وإجراء قومجيين في صحف تلهث لمسح دماء الجرائم.. لا الغرب ولا العرب من أطلق ثورة السوريين وكل مراهنات روسيا وحلفاء العصابة الأسدية على أن التخلي عن الثورة السورية سيجلب مرة ثانية الشعب السوري الثائر والمثخن بالجراح لمزيد من الاستعباد في حظيرة عوائل المافيا ستكشف الأيام كم هو وهم مبني على وهم الكذب..

ليسورديا المستقبل، لكنه بالتأكيد ليس مستقبلا لا يقرر فيه السوريون حياتهم.. أي حديث عن جنيف وغير جنيف لا يؤدي إلى انتزاع الحرية الكاملة سوف لن يحل أية مشكلة بل على العكس سيدفع الجميع ثمنا لاستمرار وهم انتصار الاستبداد والفاشية.. السوريون يودعون عام 2013 وقد قطعوا شوطا كبيرا ومؤلما في سبيل كرامتهم وهم أكثر حرصا وتصميما على انتزاعها كاملة رغم كل مناورات هؤلاء الذين يتمسكون بالماضي والخدمات الحليلة لعصابة دمشق.. ومن يظن بأن ميليشيا الأسد أو أية ميليشيا مستوردة قادرة على الانتصار بالكذب سيكتشف بأن الشعب الذي لم يبقى لديه ما يخسره سوى كرامته وحريته هو الشعب الذي سيصنع مستقبله وسيحمل هؤلاء الغزاة خيباتهم في أقسى درس قدمه شعب تخلى العالم عنه ليكون لانتصاره أثره الأبعد من جغرافية سوريا..

تاريخ من لا تاريخ لهم
يوميات سجين

■ أحمد سويدان
1994 - 1991

اليوم الثامن 8 / 5

جاء أكرم حوراني من المستشفى بعد أن أمضى تسعة أيام، عالج خلالها التشنج المعدي الحاد الذي تعرض إليه، وكان أهم أمر هو تنظير المعدة، وذلك لم يتم لعطل طارئ على الجهاز. كما تبين بعد تصوير عموده الفقري وجود انقراص في فقراته القطنية، وقد أجري تحليلاً للدم والبول وعاد دون أدوية سوى بعض الأقراص. أقام في المستشفى في غرفة حجمها حجم زنزانتين، ومربوط طوال الليل والنهار، بجنزير مشدود بقفل إلى السرير، وباب الغرفة موصد مقفل ولا يفتح عليه سوى ثلاث مرات للخروج للتوالية وإدخال الطعام بواسطة العسكري المناوب فقط، ويمكن استعمال الضرب، جاءته زيارة وهو في المستشفى. أهله ظلوا في المصعد، وهو واقف خارجه. عاد اليوم منهكاً، لأنه انتظر لمدة ثلاث ساعات مرضى سجناء آخرين زارهم أهلهم قبل مجئ دوره، وطوال مدة الانتظار هذه كان مقيداً، ووجهه إلى الحائط، ومقرفصاً ولا يجوز أن يتلفت، (ومطرمش). المريض الذي يعامل هكذا هل يمكن أن يشفى؟.. أم يزداد مرضاً؟.. أنه عومل هكذا كي لا يطلب ثانية الذهاب للمستشفى.. أن كثيراً ماتوا.. مفضّلين الموت على هذا الإذلال والقهر.

كان أكرم يتكلم والحزن يخترم صوته، والمرارة تغطي لهجته وآثار القيود في يديه ورجليه قال: لو أن اليدين إلى الأمام لكان تحمل القيد أيسر، ولكن اليدين إلى الخلف واستأنف: وقع أحدنا وكان نصف أعمى فلم نقدر على مساعدته. فهو لا يرى ونحن على عيوننا عصابة، أما العسكري فقد نهره ورفسه وأدّبه على تهاونه في تطبيق « القانون ».

هذا هو السجن السياسي في بلد واجه العثمانيين والفرنسيين، وحمل رايات الوحدة، وناضل في سبيل إزالة الحدود المصطنعة وأسقط الأحلاف والمؤامرات، أنه بلد وطني وعليه أن ينال جزاءه.

اليوم التاسع 9 / 5

قرأت منذ مدة مقابلة مع شاعر لا أذكر جنسيته سجن في جنوب أفريقيا 9 سنوات أو أكثر بقليل، قال: بعد سبع سنوات في السجن لا بد للسجين أن يفقد شيئاً من توازنه، وتستحكم به عادات مغايرة لعادات الإنسان. وكلما حاول أن يكون عاقلاً كلما كان هذا العقل قد تلقى صدمة شديدة.

اليوم العاشر 10 / 5

أفكر بترك المهجع إلى مهجع آخر. لقد مللت من تصرف البعض، وأقول صراحة أن غيري مثلي. الكل قد عطبه وأرداه أرضاً هذا السجن وجعله أحياناً لا يعرف الغرب من الشرق. صحيح أنني أحب السكون ولكن السكون غير العزلة.. الإنسان يحيا بين السكون والضجة.. أعتقد أن أكثر السجناء يقولون بالسكون ثم ينتهون إلى العزلة مما يعجّل بحالة الإنفصام والاضطراب النفسي.

تكثر الأخبار عن إخلاء السبيل، ترد هذه الأخبار من المهاجع العليا، وكذلك من اللقاءات التي تتم بين إدارة السجن والبعض من شواش المهاجع. المهم هناك حالة غير طبيعية أهمها الإجراءات المتشددة من قبل إدارة السجن بالتضييق على المساجين أثناء الزيارات، وما يقال للأهل أن لا يحضروا ثياباً شتوية أو حاجيات أخرى.

اليوم الحادي عشر 11 / 5

إننا في هذه الأيام نعاني من إغلاق المهاجع، ونتنفس في الممر، وكنا قبل هذه الأيام نمشي طوال النهار في الممر والمهاجع مفتوحة، والتنفس في الباحة الخارجية يومياً ولمدة ساعة تحت الشمس والسماء، فحُرمنا من الهواء النقي ومن الشمس مدة زادت على الأربعة أشهر بسبب تأييدنا للفلسطينيين في المهاجع العليا لإضرابهم احتجاجاً على اغتيال قادتهم في تونس.

مر وجلس قليلاً الرفيق عبد الله المقداد وهو من بصرى الشام ويسكن في كفرسوسة سجن عام 1971 وعام الـ 1974 واستمر حتى عام الـ 1977، وسجن مرة ثالثة في ربيع 1980 ولا يزال.. تحدثنا عن الاحتمالات.

اليوم الثاني عشر 12 / 5

تركت المهجع الخامس إلى المهجع السابع، هناك بقي أربعة عشر نزيلاً وهنا صار المجموع عشرة. مللت الإقامة في المهجع، لذا حملت أغراضي هذا الصباح وتوجهت إلى المهجع السابع.

فرح جداً أبو صلاح لمجيئي، أنه كهل وصامد وسكوت، حبش العلاج من قرية / الهيشة / يتكلم عن أجداده من قبيلة / طي / كيف استقروا هنا؟ والده بقي في محيط الرقة، الآخر ذهب إلى حران (الرها). الثالث سكن في لواء اسكندرون، أنه من العرب الجوالة الذين استقروا في بلاد الحرانيين وعين عيسى وتل أبيض. في هذا المهجع أربعة آخرون من نفس المحافظة، وهناك واحد من شباب المحاميد من درعا من الإتحاد الاشتراكي، ويحمل ثانوية صناعية في ميكانيك السيارات، وكان يسوق سيارة قاطرة بين سورية والخليج، وبين الخليج والعراق. وفي هذا المهجع محمد فنيخر ابن قرية كفر حارب المجاورة لبحيرة طبريا والتي احتلت بعد عام 1967.

اليوم الثالث عشر 13 / 5

منذ أيام ينتظر مرضى الجناح اللجنة الطبية. في هذا الجناح يوجد أكثر من خمسة يعانون من التسرع، وعدم الانتظام في دقات القلب، وانسداد في أحد الأوردة والشرايين، ولديهم تقارير طبية من مشفى التل، أو مستشفى حرستا، كما يوجد مرضى الضعف العام والهزال، كما يوجد من انعطب عموده الفقري (القطنية أو الأعصاب الفقرية)، وهناك المرضى النفسيون الذين يعانون من الفصام والعدوان.

هذه اللجان منذ عام ونصف بدأت تتردد على السجون، وتحاول إخراج الممكن وقد سمعنا أن هذه اللجان تتسع الآن وتضم عدة أطباء، كما تتضمن ضباطاً من كافة فروع الأمن، لقد حضرت اللجنة هذا اليوم وهي مؤلفة من أربعة أطباء وأربعة ضباط، وكان توارد المساجين عليها من كافة الطوابق.

اليوم الرابع عشر 14 / 5

روى الذين خرجوا من جناحنا لإجراء مقابلة مع اللجنة الطبية أنهم قد رأوا عجائب وغرائب. رأوا أناساً محمولين على أكتاف آخرين، وكذلك رأوا مساجين لا يستطيعون الوقوف، وآخرين أنفاسهم لا تساعدهم على التماسك واللهاث لا ينقطع ولا يتوقف. وجوه مشّوهة، وقامات محنية هدها طول الجلوس وضغط الجدران.

قال لي أبو صلاح الذي كان في عداد الذين خرجوا: تصور أنهم سألوا أحدهم عن عمره فقال: عمري 84 سنة وآخر: 76 عاماً وآخر.. وآخر وجميعهم اجتازوا السبعين.. والله يا أبا قصي خجلت من نفسي، فأنا أستطيع السير، رأيت أناساً لا يتكلمون ولا يتحركون. أن اللجنة الطبية ومدير السجن متعاطفون مع هؤلاء الناس حتى أن الصخر والجماد يتعاطف معهم.

نظرت اللجنة في اليوم الأول بإضبارات أكثر من مائتين مريض وفي اليوم الثاني تم استعراض أكثر من أربعمائة مريض،

يقال أنه خلال الأشهر القادمة يجب الإفراج عن الحالات المرضية الخطيرة كي يموتوا في بيوتهم، فيرتاح النظام من عبء دفنهم.. كيف يقدر شعب يتعرض لكل هذا العذاب أن يصمد ويواجه الاستعمار والأحلاف والمؤامرات؟

اليوم الخامس عشر 15 / 5

الخبر الذي حزّنا لوروده وأثّر فينا جميعاً هو وفاة الضابط البعثي الشريف حسين زيدان. فمن هو العقيد الركن حسين زيدان؟.. أعرف أنه من بلدة سراقب التابعة لإدلب، أظن أنه من مواليد 1928 وخريج الكلية العسكرية عام 1948. في زمن الإنفصال كان برتبة نقيب. وكان حافظ الأسد ملاحقاً ومسرحاً ومتخفياً، وقد التجأ إلى بيت حسين زيدان فظل فيه متوارياً إلى قيام انقلاب 8 آذار. فعاد حافظ وتم تعيينه برتبة رائد مديراً لأحد المطارات العسكرية. يقال أنه مكث في بيت حسين زيدان أكثر من ثلاثة أشهر ولم يكن له من ولد سوى باسل وجاءت في تلك الفترة بشرى.. حسين زيدان هذا كان في سنة 1966 مديراً للكلية العسكرية، كان الكثيرون من الضباط البعثيين يبحثون عن حل لنظام حكم مهزوم ومستبد ومسدود المستقبل..

عبد الباسط الصوفي 1931 - 1960

■ ياسر مرزوق

ربما كان من الصعب الوصول لترجمةٍ وافية لحالةٍ إبداعية مرت كالشهاب، عبد الباسط الصوفي الذي قال عنه د. إبراهيم الكيالي " أن الهلال عبد الباسط الصوفي لم يكتب له أن يكون بدراً كاملاً فقد غاب في سماء إفريقيا السوداء عن عمر لم يبلغ الثلاثين بعيداً عن أهله ووطنه ".

أنه الزائر الغريب الذي قال عنه الدكتور شاكر فحام، " كانت لديه موهبة أكبر من جناحيه". وهو الذي صاح يوماً: " كيف لا أشكو ودائي ليس يشفيه دواء" والذي اعترف ملء دفاتره الشعرية.. " أنا بعض سيزيف.. بعض الذي كابده / فرغت على الزرقة الأبدية / قلباً هشيماً / وروحاً خراباً / تسلقتها: لجة وعرة، وارتميت عليها عصي الرغاب.. أنا بعض سيزيف / بعض الذي جالده / يطاردني لليأس دامي السياط، كما طارده ".

ولد عبد الباسط بن محمد أبي الخير الصوفي عام 1931م في مدينة حمص لآل الصوفي الأسرة الدينية المتصوفة المنتشرة في بلاد الشام، والتي تعود أصولها إلى الشيخ محمد الصوفي الذي ولد في اللاذقية حوالي 1805 – وتوفي في الحجاز 1860، وهو أحد أحفاد العالم الجليل عبد الحي الصوفي الملقب بالغزالي من جهة أبنه المُنلا خالد ممن هاجروا من حمص واستقروا في اللاذقية ومنهم آل الصوفي في اللاذقية ويقال أن والده ياسين من اللاذقية، الذي هاجر وسكن في منطقة " الباير " في قرية في ناحية ربيعة اسمها جبلية بالقرب من الريحانية.

عاش طفولته في حي ظهر المغارة جانب جامع آل الصوفي، وتلقى تعليمه الابتدائي في المدرسة الخيرية الأميرية، وعام 1943 التحق بمدرسة التجهيز في حمص ليحصل على الشهادة المتوسطة فالثانوية عام 1950، لينخرط في سلك التعليم حيث عين معلماً في مدرسة قرية عز الدين، ثم مدرساً للغة العربية في متوسطة قرية " فيروزة" وفي عام 1952م انتسب إلى المعهد العالي للمعلمين ونال شهادة الليسانس في الآداب سنة 1956م ثم واصل مهنته التدريسية في مختلف الثانويات في دير الزور وحمص حتى شهر شباط 1960م وفي أواخر دراسته الجامعية بدمشق عمل مذيعاً في الإذاعة السورية ومشرفاً على القسم الأدبي فيها بتوصية إعجاب وتقدير من الشاعر الكبير " بدوي الجبل " الذي كان وزيراً في الحكومة السورية آنذاك.

أوفدته وزارة التربية والتعليم في بعثة إلى غينيا لتدريس العربية فتوفي في "كوناكري" في 20 تموز سنة 1960م، منتحراً في المستشفى الذي نقل إليها أثر إصابته بانهيار عصبي شديد سبقه عدة محاولات انتحارية مؤثرة، وقد نقل جثمانه بحراً ودفن في مسقط رأسه حمص بعد شهرين من وفاته.

وكانت آخر قصيدة نظمها، " الزائر الغريب " بتاريخ 21 / أذار / 1960:

أنا.. فرح الأرض، إنسانه، شوقه السرمديْ
أنا.. في تدافع عشب، وفي خفق صبح ندي
أنا.. قد غمست حروفي، بكل عروق الحياه
وبين ضلوعي لهيب إله، وسر إله

ينتمي الصوفي إلى المذهب الوجودي الفرنسي الذي كان سائداً في تلك الفترة التي تعج بالعقائد والمدارس تلك الفترة التي انتجت، ولادة رواية "الحي اللاتيني" لسهيل إدريس، و"المهزومون" لهاني الراهب، و"أبيات ريفية"، الديوان اليتيم – والفريد في بابه - لشاعرنا.

كان الصوفي حالةً إنسانية شديدة الخصوصية هشة لحد الانكسار فيبدو من خلال اعتراف أصدقائه

المقربين إليه " انطوائياً وانعزالياً، يألف الوحدة، ويأنس إلى الصمت، تميل نفسه إلى العزلة ضمن حدود ذاته المتعبة، بالإضافة إلى أنه كان شديد الحساسية، حاد الطباع، يتأثر بأصغر الأشياء، وينفعل لأتفه الأسباب".

فالضجيج، والصياح، وكل حركة غير متوازنة، تتركه متوتر الأعصاب، مضطرب النفس، يلاحقه القلق في كل مكان، في البيت، والعمل، والشارع والمقهى حيث قال: "أن الأطفال في البيت يصرخون دائماً، وتخترق أصواتهم الحادة رأسي من جميع جوانبه، ولكنني لم ألق السلاح، فقد حاولت، وكم أغلقت عليَّ الغرفة، وجمعت الوسائد في المنزل ودسست رأسي بينها، ولكن عبثاً، لابد أن رئاتهم من فولاذ، يلعبون، ويزعقون، ويخرج زعيقهم كصفير القاطرة، مهما كان السبب سخيفاً فإنهم يبكون".

كما قال في المقاهي ملجأ الأدباء والشعراء في حينه " هذه المقاهي الشرقية المفعمة بالدخان والضجيج والسآمة، يعلو الصدأ رويداً رويداً على النفوس الرهيفة الموهوبة، وتعلو طبقات الصدأ، وتتآكل النفس الإنسانية، وفي الحانة تنتهي قصة كل ليلة، وليس هذا عالمي الذي أبحث عنه، إني غريب، غريب يا صديقتي، وأشعر بغربتي في كل دقيقة، ولم أستطع التنفس بسهولة، إني غريب، غريبٌ يا صديقتي، أنتحر ببطء، وأدفن حيّاً في أمشاء هذه المقاهي والحانات، أن مملكتي ليست من هذا العالم".

كل هذه الغربة التي عاشها الصوفي في بلده تضاعفت حين هرب للاغتراب الحقيقي، مما قاده إلى اتخاذ قرار الانتحار ولما يتم الثلاثين ربيعاً من عمره. أضف إلى هذه المعاناة حبه الوحيد الذي اصطدم بالعادات والتقاليد وحرمه من محبوبته الأولى، مما عزز من نزوعه للرحيل فقال:

أنا راحلٌ والشوك ملء يدي آهٍ الشوك عربدْ
أنا راحلٌ وغداً أعود وفي جبيني الشمس تعقدْ
سأهزُّ أغوار الفناء وأنثني أبداً مخلد
وأجوب أعماق الجحيم خطىً تمزق كل فرقد
صبحٌ يموت، ووجه صبح في ضمير الليل يولد

قال الصوفي: "مهزلة يا صديقتي أن يعيش الإنسان في جو يبعث فيه كل العواطف القاتمة، ويُضطر إلى ذلك اضطراراً".

كما قال في إحدى رسائله: "كنت أمسك رأسي الثقيل بكلتا يديّ وأضغط على جبيني، وتندفع شفتي السفلى إلى الأمام بقرف، وأسير بضع خطوات ثم أتهالك على الطاولة، فترقص السطور أمام عينيّ، وتوشك السيجارة أن تنتهي فأصلها بأخرى، ويتناثر الرماد على ثيابي فأتركه على حاله، ولم لا.. ألست يا صديقتي لفافة بشرية تحترق، ولا أجد من ينفضني، ولو عن طريق السخرة".

يورد صديقه ممدوح السكاف كيف أن: " أحد أصدقائنا دعا عبد الباسط إلى منزله في شتاء 1959 ليسجل له شريطاً من شعره بإلقائه الرهيف. فاستجاب عبد الباسط شريطة إلا يكون في الجلسة سوانا نحن!! وكان الوقت مساء.. وعلى ضوء الشموع راح عبد الباسط يلقي قصائده ونحن ننصت وكأننا في معبد..

مرت ساعة ونحن على هذه الحال، وعندما انتهى شاعرنا من إلقائه أضاء صاحب المنزل الكهرباء وكانت المفاجأة الصاعقة لنا، نظرنا إلى وجه عبد الباسط فإذا هو أحمر قرمزي مخضب بدمع سال على خديه حتى عنقه.

كان الموقف صعباً ومحزناً سأله صديقنا متلهفاً " ما الأمر؟ ما بك.. هل قابلتها؟ فثبت عبد الباسط عينيه في وجهنا وكانتا تقدحان بمثل الشرر الخافت المنطفئ وقال موجهاً كلامه إلى الصديق: " أرجوك..

وأسند مرفقيه إلى المنضدة ووضع رأسه بين كفيه وانغمر في نوبة بكاء نشيجية مرة مؤثرة استمرت أكثر من ربع ساعة لن أنسى ذلك المشهد الأليم ما حييت.. مشهداً غاشماً لشاب شاعر محطم كان عندئذ في الثامنة والعشرين من عمره".

قال عنه الأديب عادل أبو شنب:

" كل ما بقي منك قصائد وذكريات زرعتها في صدور الذين عرفوك وأحبوك وعاشوا معك ضبابية شعرك...وها أنت قد ذهبت إلى حيث أردت ولكن لماذا لم تقل وداعاً يا عبد الباسط ... لماذا مت بعيداً".

وكتب صديقه الأديب القاص ياسين رفاعية عنه: " أصحيح أنشب الموت أظافره في حنجرتك العذبة وخنقها يا عبد ... يا شاعري هل تحطم القلم وانكسرت الريشة كما تكسر الرياح غصناً مورقاً؟ يا عبد يا شاعراً.. عَبدَ الحرف وأخلصَ له كيف هكذا تهجرنا بقسوة وتفارقنا بعنف ".

الإنتاج الشعري:

- له ديوان: «أبيات ريفية» - منشورات دار الآداب - بيروت 1961، (الديوان الفائز بجائزة دار الآداب في الشعر)، و«آثار عبدالباسط الصوفي الشعرية والنثرية» - مديرية التأليف والترجمة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق 1968، ونشرت له الصحف عدداً من القصائد: ليالي الحب: مجلة النواعير - حماة - العدد 34 – تشرين الأول 1947. - مدينة العَرَب - مجلة الثقافة - دمشق، تشرين الثاني 1958. - سبوتنيك - مجلة الآداب - بيروت – كانون الأول 1959. - مأدبة للقمر - مجلة الآداب – بيروت، تشرين الأول 1959. - فنجان قهوة - مجلة الآداب - بيروت – كانون الأول 1959.

الأعمال الأخرى:

- تضمن كتاب: «آثار عبدالباسط الصوفي الشعرية والنثرية»، عدداً من القصص القصيرة - وجزءًا من رواية لم يتمها، وعدداً من المقالات النقدية، وعدة رسائل وجهها إلى صديقة له، ورسالة واحدة إلى أستاذه سامي الدروبي.

تمام عــزام التشكيلي اليائــس وباعثُ الأمل

يعجن الخبز باللون والبيت المهدم لتكون ثورة

■ عامر محمد - دمشق

من معرض الفنان الأخير في غاليري أيام

تختصر لوحة تمام عزام بالقليل من الخطـوط والألوان والعناصـر الكثير مما توّد أن تقولـه أو تعبر عنه، هو خاطرك وريشـتك ولونـك الذي لا تعلـم، اللوحة الرقميـة التي لا تقـدرُ أن تحدد هل هي خدعـة أم حقيقـة، تخاطب فيك بشـكل مباشـر جرحـك القديم والطـازج، فكرة بسيطة ممتنعة مباشرة وسريعة التأثير، تنطق أمامها لتقول "هذي هي" هذا علم وطني لجرح الناس، وفيما يسـتحق تمام عـزام أن يكـون أشـهر تشـكيلي الثورة وأكثرهـم قـدرة علـى تصويـرِ ظلالهـا ونقـاط النور والعتمة فيهـا أولاً كمصور زيتي "معلم" ليغدو فنه أيقونات تُنشـر وتُشـارك وتُرسـل وهـو الـذي يخطها "بريشـة" واثقة لا تعرف التردد، يكشـف عزام عن يأسـه من كل شيء، ولا تحتاج للكثيـر لتدرك كم يُقدر في نفسـه كل "آخـر" لا يزال يعيش في سـوريا ويُقلل مـن ذاته رغـم إنجـازه، فقـط لأنه في "الخارج" ويرى أن من كل أعماله المنجزة "ربمـا يكون هنـاك خمسـة أعمال فقط سـتكتب لها الحياة خارج المؤقت، واليوم يقول عزام "تطرح في بالي أسئلة الربح والخسـارة فنياً، فلا أعلم أيـن أنا، ثم أقول هناك من يخسر أكثر".

لا يعتبر عزام نفسـه فناناً سياسياً ويقول عزام: " أحتقر الفن السياسـي، لا رموز سياسية في أعمالي أنا أعمل ضمن خلفية سياسـية فقـط" طالما رفض عـزام طول ثلاثين عامـاً من حياته أن يغادر سـوريا واليوم لا يخفـي أمنيته بالعودة إليهـا لكن ما يمنعه عـن ذلك هو "الجبن" يقـول عزام رافضاً أن تقول له أن دوره الأقـوى هـو حيـث هـو الآن، وليس في ظل الحرب ووسـط المعارك، فيـرد بأنه غير مقتنع "الفن لم يستطع تقديم موقف ولم يتمكن من دعم الثورة أو إنقـاذ أحـد أو حتـى المسـاهمة في عمـل إغاثة" ويظهـر عـزام مقارنته الشـخصية التـي ربما تكون نادرة الحدوث، بين حياته الشـخصية وحياة أي عائلة سوريةٍ في داخل البلاد، و"يلوم" نفسه لأنه يجد دفئاً ومنزلاً مريحاً وغيره لا.

مأسـاة البلاد قد غيرت بعزام فنياً، فطال التغيير المفهـوم والتقنية والمزاج، وظهرت لوحة "الديجتال" و"الغرافيـك ديزايـن" الأسـلوب الذي لم يكن يشـبه عـزام حتى الأمس القريب ولم يكن يغريه ولا يعنيه ولا يشبهه، الثورة الفنية الصغرى التي ولدت بلوحات عـزام كانـت ابنة أكثرُ من شـرعية للثـورة الكبرى، ثورته التي جعلت من لوحاته انعكاساً مباشراً للجراح وللراحليـن، آلاف الوجـوه مختبئـة ومسـتترة ضمن لوحته، تطل منها بخجل تاركة لمكان الجريمة الحيز الأكبر، فطاف اسـمه مرافقاً للوحته وعرَف الشـهرة، وهـو يسـتحقها، لكن الأناني الـذي يعيش تحت جلد أي فنان كان، ويعد شرطاً ضرورياً لبقائه واستمراره، لم تمسـه - أي الأناني - أي نشـوة، فكل هذا النجاح

عمل بعنوان: لوحة سيارة من دمشق

من مجموعة: متحف سوري الثالث من مايو 1808

يرافقه "إحساساً بالذنب" يعيشه عزام كسوري يرى نفسه "مقصراً" مهما فعل.

الكلمة أم الرصاصة؟ وأنت كفنان أم شيخ دين؟

تسأل عزام عن الأقوى بينهما "مقولة الكلمة أقوى من الرصاصة وضعها الطغاة كي نعيش في الحلم، الأقوى منا جميعاً هي الرصاصة، لا يستطيع أن يقف بوجه الرصاصة أحد" فيما يوافق على أن الثقافة قادرة على مواجهة المد الأصولي "لو سمح لها أن تعيش بحرية لما كان أي مجتمع قادر على استقبال التطرف سريعاً"، وبينما تنتشر أعمال التشكيلي عزام وسط جمهور لا وقت لديه ولا ميل حقيقي لمتابعة الفن عنده، مسجلاً بذلك جديداً في ما يسمى فنياً بالوصول إلى جمهور العامة، لا يزال عزام يعتبر أن الفن نخبوي، وفي التشكيل لا يرى عزام أن الفن ينتمي لمكان بل للأصل أي الفن، فكما يحتاج التشكيلي للموهبة يحتاج للثقافة، وتغريبه اليوم درعا كمكان للعرض، السبب عاطفي يقول عزام "بين ضيعتي وبصرى الحرير 2 كم، كنت أزورها يومياً لأشتري شيئاً ما لأراها اليوم وقد أنتجت ثورة كهذه، هذا ميل عاطفي ربما للعرض بها".

يرى عزام اليوم في المشهد السوري كاملاً أن اليأس أشد صدقاً من التفاؤل، فحين ماتت أمانيه بسوريا عاش القبول " بتوقف الموت فقط، ضمن أي حل يتم الاتفاق عليه" وعزام لا يشبه بعض السوريين الذي يرفعون لاءات بوجه حل ما، لدرجة تجعلك تشعر فيها أنه ينكر على نفسه الحق في الاشتراط والتطلب للوصل إلى الحلول، شعور آخر تولده لوحته التي تبث طاقة في متلقيها، فتُظهر أملاً في أكثر المشاهد ألماً، كما حين يلون جدران مهدمة ومتكئة، أو يزخرف حياً منكوباً بلوحة فيُحيّه، وفعلياً يتظاهر في اللوحة مع آلاف من المشاهدين، لم يستطع عزام أن يتظاهر حقاً حاملاً لوحة في سوريا، ولم يُسمح لا له ولا لغيره بحملة عبارة أو أن "توزع طعاماً ضمن اعتصام أو تخطط عبارة" ويحلم التشكيلي اليوم بسوريا، البلد الذي لم يكن يعنيه فيما مضى من تاريخ "قبل الثورة".

عمل بعنوان: غرافيتي الحرية 2013

"أنا السوري" هذا ليس عنوان معرض فقط أقامه عزام مؤخراً في بيروت ولندن، ليقول مختصراً الجدل "أنا من عشت في سوريا وأنا من أعرف أن ما كان فيها يستوجب ثورة" الجدل حول الثورة هو ما لمسه عزام من تغيّر في قراءة المشهد غربياً، حين سيطر "الإرهاب والجماعات الإسلامية" على الرأي العام لدي غير السوريين من ما يحدث في البلاد، كان من الواجب أن يُحسم هذا الجدل بعبارة "أنا السوري" هنا يذكر عزام خطأ الإعلام "الثوري" الذي لم يعرف كيف ينقل الوجع الحقيقي للعالم.

حين يعجن عزام الخبز بخريطة العالم دامية، أو حين يَنشرُ قماشاً ملطخاً بالأحمر، فأنه لا يُجمل الموت ولا يُحصن القتل، بل يتركه أبلغ، فحتى القتل يحتاج لبلاغة للإخبار عنه، نجح عزام في بلوغ عقول عجزت وسائل إعلام ومؤسسات من الوصول إليها، فشكل الجرح لوحة تصرخُ حيث تصمت، وتدل على القاتل، بينما يقف مبتسماً للكاميرات في صالات العرض، تبكي لوحاته عنا جميعاً لتقول "كانت ثورة وستبقى ثورة" تحدثت مع عزام لأكثر من ساعة وأجدني أكتب عنه أكثر مما قال هو، فكما لوحته تَلمس الروح، يأسه المشبع بالأمل يلمس العقل ويحرضه، وهو من قلة تحتاجهم سوريا حيث هم الآن لأن خسارتهم تزيد الجرح عمقاً وتفقده النطق.

د. أحمد محمد الدغشي:
الحوثيون دراسة منهجية شاملة

■ ياسر مرزوق

ترتبط القضية الحوثية مع العديد من قضايا الشرق الأوسط المتداخلة والمتشابكة أصلاً، من التقارب الإيراني الغربي إلى النفوذ الإيراني المتعاظم في المنطقة إلى الأزمة اليمنية المستمرة حتى يومنا هذا، وكتابنا اليوم للدكتور أحمد محمد الدغشي الكاتب والأكاديمي اليمني، أستاذ أصول التربية وفلسفتها المشارك في كلية التربية بجامعة صنعاء، وهو وإن كان من الباحثين في حقل التربية، إلا أن متابعته وانشغاله بالحركة الإسلامية وبشكل خاص بالحركة السلفية باليمن من خلال كتاباته ومقالاته جعلت كثيرين يعدونه من بين الباحثين المتخصصين القلائل في الشأن الحركي الإسلامي باليمن، لذا أتى كتابنا محاولة توثيقية علمية لتقديم الظاهرة الحوثية للقارئ العربي.

يقر كاتبنا بصعوبة الكتابة عن قضية الحوثيين، بوصفها قضية معقدة، يختلط فيها الفكر بالسياسة، والتاريخ بالحاضر، والإيديولوجيا بالمنفعة، الأمر الذي يدعو إلى التريث ومجاهدة الذات، لذلك يسعى إلى تقريب «الظاهرة الحوثية» إلى ذهن المتلقي، وخاصة خارج اليمن.

يقول الدكتور الدغشي في مقدمة الكتاب «أن الكتابة في قضية معقدة كالحوثية يختلط فيها الفكر بالسياسة والتاريخ بالحاضر والايدولوجيا بالمنفعة لهو مدعاة للتريث ومجاهدة الذات».

وأضاف: «والحق أنه.. مهما جاهد نفسه - أي باحث كان - ومهما أوتي من مؤهلات الموضوعية أن يقتصر على الوصف المجرد دون أن يبدي موقفا أو يصدر منه حكما صراحة أو ضمنا إزاء ظاهرة كلية انعكست تداعياتها على المشهد العام بكل فصوله في حياة اليمانيين بل تجاوز الأمر المحيط الداخلي إلى الخارج ممثلا في بعض دول الجوار وكذا الأطراف الخارجية ذات الصلة بالحراك أو المشهد الثقافي الفكري والسياسي في اليمن على نحو أو آخر».

كما يعرف الظاهرة الحوثية بأنها «ظاهرة حديثة في شكلها وهيكلها الخارجي بيد أنها ذات جذور اختلط فيها القديم بالحديث وأنها تلك الحركة أو ذلك التنظيم السياسي المسلح الذي أعلن عن نفسه في العام 1990 باسم تنظيم الشباب المؤمن كإطار تربوي وثقافي وسياسي «ضمنا».

آتى الكتاب بأربع فصول فضلاً عن المقدمة والتوصيات والنتائج، ويقول الدغشي في مقدمة الكتاب: « أخذت ظاهرة الحوثية في اليمن حيزاً هائلاً من الاهتمام الإعلامي ومساحة واسعة من الجدل الثقافي والفكري على الصعيدين الداخلي والخارجي. وظهرت كتابات متباينة الوجهة تأييداً ومعارضة بدوافع مختلفة وان الباحث الحر يقف محتارا حين يبحث عن كتاب أو دراسة عامة تتحلى بقدر معقول من الموضوعية. «

في الفصل الأول يطلعنا الكاتب على وتحت نفس العنوان على الخلفية التاريخية للحوثيين مستنداً إلى حقيقتين « الأولى.. ثمة مكونان مذهبيان سائدان في اليمن عبر تاريخها الإسلامي هما الشافعية، نسبة إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي الذي توفي سنة 240 للهجرة، والزيدية نسبة إلى الإمام

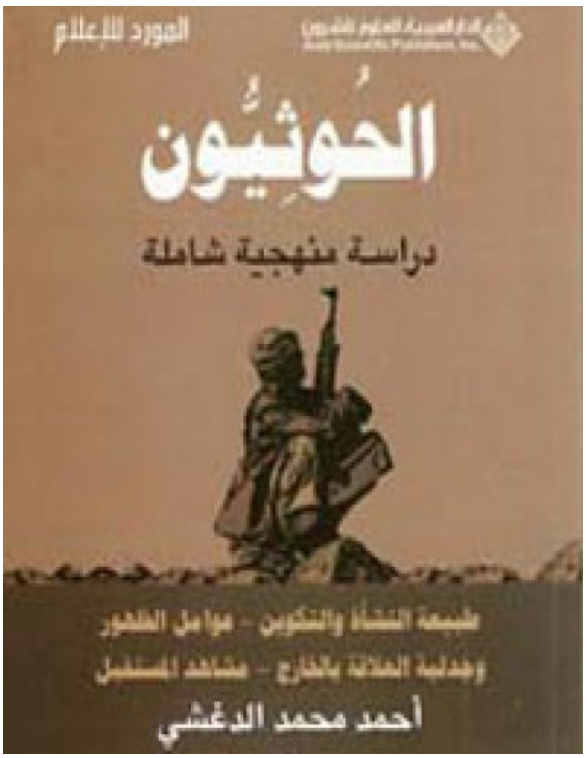

زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الذي توفي سنة 122 للهجرة، عاش في ظلهما اليمنيون منذ نشأتهما على نحو من التآخي العام دون أن يعني ذلك خلو الأجواء من المناكفات والمشاحنات بين حين وآخر وعادة ما يسهم في تأجيجها تسييس أي من المذهبين حين تدول الغلبة لأي منهما - ذلك أنه قد تمكن بعض الأئمة الزيدية من السيطرة على بعض المناطق في اليمن وجعل المذهب الرسمي للحكم فيها هو المذهب الزيدي الهادوي نسبة إلى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي توفي سنة 298 للهجرة / حقبة تزيد عن ألف عام».

وأضاف «وإذا كان الإمام زيد هو صاحب المذهب ومن تنتسب إليه الزيدية في اليمن فان تراثه خلو من الزعم باشتراط نسبي أو عائلي أو حتى أفضلية لحصر الخلافة في البيت العلوي بل يراعي في ذلك مصلحة المسلمين وعدالة الوالي.. «

ويصل إلى أن الظاهرة الحوثية على نحو عام تنتمي إلى المدرسة الزيدية الجارودية وهي «المتسمة بالالتقاء مع المدرسة الامامية الاثني عشرية في جانب من النيل من كبار الصحابة.. «.

قائلاً: «لاشك لدى المؤرخين أن الفرقة الزيدية المشار إليها آنفاً تمثل واحدة من فرق التشيع وإن كانت الأعدل والأكثر قرباً إلى أهل السنة من بين الفرق الأخرى وإذا غضضنا الطرف عن التراثين الجعفري والاثني عشري الإمامي والزيدي بما فيه الهادوي من حيث الخلاف الكلي بين المذهبين لتتجه أنظارنا صوب الواقع السياسي على مدى العقود الثلاثة الماضية تحديداً - فسنلقى تقارباً تلقائياً ملحوظاً بين فرقة الزيدية الهادوية المعاصرة والزيدية الجارودية والفرقة الأشهر اتساعاً وهي الشيعة الإمامية الجعفرية والاثني عشرية من خلال التشيع ورئاسة الإمامة التي هي مدار اهتمام فرق الشيعة كلها ومحور عقائدهم السياسية بصرف النظر عن اختلاف طبيعة المذهبين وفلسفة كل منهما والموقف التاريخي لكل فرقة تجاه الأخرى».

أما عوامل النشأة بحسب الكاتب فتتوزع بين عوامل داخلية وخارجية.

العوامل الداخلية:

تعود الظاهرة الحوثية إلى جذور التشيع السياسي التي تحصر حق الحكم في سلالة بعينها، وهو ما أكد عليه المرجع الزيدي بدر الدين الحوثي والد حسين في حوار صحافي شهير، مع الإشارة إلى ظهور بعض الأصوات التي عدت مثل ذلك الرأي مجرد نظرية تاريخية لا تنسجم مع روح العصر، وعدت مقياس الكفاءة - وليس النسب - هو المعيار الأساس في ذلك، كما تعزى إلى التكوين العلمي والفكري والأيديولوجي للمؤسس حسين بدر الدين الحوثي وإلى الخلافات الداخلية بين مؤسسي تنظيم الشباب المؤمن، وفي مقدمتهم حسين بدر الدين الحوثي من طرف ومحمد يحيى سالم عزان من الطرف الآخر، ثم قيام الحوثيين بطرد اليهود من ديارهم ببعض مناطق صعدة، بعد أن تمكن الحوثيون من السيطرة عليها.

العوامل الخارجية:

عوامل الظهور الخارجية إلى فكرة تصدير الثورة التي تبنتها الثورة الإسلامية في إيران عقب انتصارها عام 1979م وإن ظل التأثر بها سياسيا بالنسبة للرجل المؤسس «حسين الحوثي» على وجه التحديد.

وفي مجال «التوصيات» قال الدكتور الدغشي «على السلطة السياسية التعامل مع الظاهرة الحوثية بوصفها ظاهرة مذهبية.. قديمة وان تجلت اليوم بصورة مختلفة نسبيا.. لكن ذلك لا يحيلها إلى كيان غاز فاقد للشرعية من الأساس إذ هي في حقيقة الأمر امتداد للمدرسة الزيدية (الجارودية) وهي قائمة باليمن منذ قرون متطاولة. هذا بغض النظر عن قناعتي أو قناعة هذا الطرف أو ذاك بفكرها وأطروحاتها.. «.

أضاف «تشيد الدراسة بالمبادرات الجريئة التي تبناها بعض علماء الزيدية في محاولتهم السعي نحو التفاعل الايجابي مع نصوص القانون والدستور الساري في البلاد حول معيار الأهلية للحكم.. «

ودعت الدراسة «الاتجاه الحوثي والسلطة معا إلى الاحتكام الفعلي إلى مؤسسات الدولة ودستور البلاد وقوانينها فيما يتصل بأي مطالب مشروعة للاتجاه الحوثي وعدم اللجوء إلى العنف أو استعمال السلاح لحل أي نزاع واعتماد منهج الحوار أساسا في ذلك.. مع تأكيد حق كل مواطن في ممارسة حرية الرأي والتعبير وعد ذلك أمرا مكفولاً في الإطار الدستوري والقانوني..».

وختم بالقول «لا مناص من النظر إلى المشكلة من زواياها وأبعادها المختلفة وفي مقدمة ذلك الزاوية التربوية والتعليمية والفكرية وأبعادها المنعكسة على الجوانب الأخرى للمشكلة. وهنا تعالج المشكلة المذهبية من زاويتها التربوية في ضوء الاتفاق على استبعاد خيار المصادرة والإلغاء لأي مكون اجتماعي من زاوية حقه في التعليم وفق مذهبه الخاص على أن يظل ذلك في أطار ثوابت المجتمع وقيمه الكلية..».

جَمَّة:

حين أتنحّى

■ مثنى مهيدي

من أوقعني في هذه الحفرة؟! وقد ولدتني أمي متنحياً!!

وقالت القابلة أن حدبني بائنة، وعيناي جاحظتان منذ البدء، حكت لي أمي أنني حبوت على أربع كالكلب، دائماً أنحو إلى الظلال القصية، لا ألاعب أقراني إلا قليلاً، فإذا سلب أحدهم لعبتي نأيتُ عنه، أرقب المشهد غير آسف.

أهذه الحدبة البائنة خِتم المتنحي؟!

أبديتُ دهشتي سابقاً من هؤلاء الذين يلعنون السُلطة تحت شمس الظهيرة. وشاركتهم..

قلت هؤلاء هم ناسي، وسرعان ما أفِل إلاندهاش، وإنتحيتُ عنهم. صرت ألعن السياسة بلغطها وغلظة أهلها. كنت قد أفدت من طفولتي المتوحدة، جرّاء إنصرافي عن اللعب حال تعرّضي للإستفزاز في تكوين ملكة تخيلية، وقدرة لا بأس بها من التعبير في مرحلة الدراسة الابتدائية وما تلاها، لا يعرفني المعلمون إلا بعد أول حصة تعبير، يأتون بمواضيعهم المتكررة. الربيع، رحلة إلى الريف، والشهيد، فأكتب لهم ما لذّ وغاب من الجمل والمعاني، وفي حصّة الرسم تأتي المعلّمة التي تُغري الأساتذة دائماً بلا سبب. تأتي بطلباتها الروتينية. الربيع، حرب تشرين. منظر طبيعي. والبيئة. تقول عني أنني فلته فأتنحي بعيداً عن إطرائها.

هل جحوظ عينيّ إشارةٌ ما؟! وإلاّ كيف يفهم الآخرون أنني لن أكمل معهم.

- إني في أصدقائي المساكين كدافينشي في زمانه، قال لي صديقي المتماهي..

- سنكتب على قبرك: "بيت ليوناردو"..

قلت، ربما سأكتب على قبرك: " بيت جان جاكومو براكوتي " فضحك المتماهي، وضحكنا، ولكنهم أحسوا كغيرهم أنني سأفارق مشروعهم الإبداعي عند منحنى غير ذي صلة. وقد فعلتُ تدريجياً..

أتراني كنت محبطاً حين أحببت؟! بعد الكلية الباردة. وانكفائي فيها، التحقت بمكتب صغير، آملاً أن أصير غاودي في فترة وجيزة وهذا ما حدث، ولكن قبل ذاك بفترة أوقعتني صديقة شريكي في مصيدتها. سمراء وبدينة لا تتيح مجالاً لمُتنحّي، هذه امرأتي، فأنا أحتاج لأنثى سمراء داهسة، ثقيلة الوزن. لم يمض أسبوع من سريرتي إلا وأنا في ضجر وقرف. أكره اقتسام الفراش، وهدأة الليل. حاولت أن أتنحنى بعيداً عندَ أطراف الفراش، ولكنها كانت كثيرة بقدر يُمكنها من سحبي لإمتطائها متى شاءت. غابت عني بطولة التنحي وصرت مُكرهاً. إستمرت عملية السحب والتنحي بيننا سجالاً لبضع أشهر، تمنيتُ أن تحملني قدماي إلى حاملة طائرات في عرض المحيطات، هناك حيث لا أسمع أنني تنحيتُ عن مشروع غاودي كلياً، زادت حدبتي سنتمتراً، وقفزت عيناي للخارج باحثة عن مناص بعيد المنال. وظللت مع كل ليلةٍ أتقوّس، وأجحظ، تكهنتُ أن عينّي ستلتقيان بأخمص قدمي ما لم تحدث معجزة تعطل ماكينة الجنس.

عادني صديقي المتماهي في حفرتي.!

سألني، ألم تعاود الرسم يا صديقي؟.

وهل أجيبه؟ ألم يبصر البلدوزر يسحلني،؟ كأنني لم أتنح عنهم ذاك اليوم إلى عشٍ من زَغب البطون، نظرت إليه ببرود، أخذت رشفة رعناء من كوب الشاي، أشرت إليه بأن يرشف، ومنحته قطعة باردة من إبتسامتي القديمة، وتنحيتُ لأجلس حيثُ أشاء من حفرتي.

التنسيقيات بين الزوال والتمويل

■ محمد العاقل - دمشق

ما الذي حل بالتنسيقيات؟

بعد تحول جزء كبير من الحراك السلمي في سوريا إلى حراك مسلح وحلول الكتائب المسلحة وفرقها الإعلامية مكان الكثير من المظاهرات الشعبية، لم يكن أمام التنسيقيات الكثير من الخيارات المفتوحة فإما أن تتحول لفريق إعلامي يختص بتغطية أخبار الكتيبة المسلحة في المنطقة، أو يقتصر عملها على تغطية أخبار الوفيات، وإن لم يكن هذا أو ذاك فغالباً هي النهاية بالنسبة لهذه الصفحات التي جمعت على مر سنتين منذ بدأ الأحداث في سوريا الكثير من المتابعين والمعجبين والمهتمين بأخبار هذه المناطق.

وبدأت تظهر تنسيقيات جديدة بطابع جديد يختلف كل الاختلاف عن الإطار الرئيسي الذي انطلقت به أولى التنسيقيات السورية، فقد بدأت تظهر تنسيقيات يديرها أشخاص من خارج سوريا، وغالباً يكون مجال عمل هذه التنسيقيات ليس نقل الأخبار العاجلة عن منطقة أو مدينة سورية محددة بل اتخاذ مواقف أو وضع تحاليل وآراء سياسية معينة، وربما في بعض الأحيان دعم بعض الكتائب والتشهير بأخرى.

ولكن وعلى الرغم من كل ذلك لا بد من جود أشخاص رفضوا الموت وأصروا على متابعة نشاطهم وحافظوا على دورهم السابق بنقل الواقع، وأما عن الاختلاف بالنقل فإنه موجود ولكن ليس بسبب طريقة التعاطي مع الواقع ولكن بسبب تغير الواقع نفسه، فلم تعد الصورة التي تنقل هي صور الاشتباكات أو القذائف بل غالباً أصبحت صور الموت والجوع والفقر والدمار وحتى العدو لم يعد طرفاً واحداً محدداً بل أصبح متعدداً ومختلفاً من منطقة لأخرى، وبالنسبة للكثير من هذه التنسيقيات كان هنالك مشكلة رئيسية تعاني منها في صراعها للبقاء وهي الدعم، فعلى الرغم من كثرة وتنوع وسائل ومواد الدعم التي تضخ في سوريا إلا أنها لا تتناسب مع هوية هذه التنسيقيات البسيطة بل تعود لخطط وسياسات أكبر من ذلك بكثير، هذه العزلة عن الموارد شكلت عقبات كبيرة أمام إمكانية التطور والتقدم على الرغم من الرغبة الكبيرة بالقيام بالكثير من الأفكار والمشاريع البناءة لدى هذه التنسيقيات.

ما هو مجال نشاطها؟

أغلب الأنشطة تتركز حول التصوير والنقل الإعلامي للوضع الإنساني والمعيشي، وشكل بسيط من أشكال النقل الإخباري، والمحاولات الدائمة التي يتمكن بعضها من النجاح بتأمين معونات ومواد إغاثية الرئيسية والضرورية للبقاء على قيد الحياة لسكان المنطقة وحتى أن أمكن تزويد المناطق المجاورة أيضاً، وبعد كل هذا مازال هناك جانب تتميز فيه بعض التنسيقيات عن أخرى ببعض الأفكار المبتكرة مثل: (عم نقوم بتجميل الحي بالرسومات والعبارات) عبارة قالها لي ناشط بإحدى التنسيقيات التي مازالت على قيد الحياة، مثل هذه الأفكار والنشاطات تعطي للتنسيقيات طابعاً مميزاً عن الكثير من الكيانات والتجمعات التي تشكلت حديثاً فهي أصبحت أشبه «بالبلدية» المسؤولة عن منطقة محددة وتقوم بتوفير الخدمات الرئيسية لها بالإضافة لتوفير خدمات إضافية ترى أنها مفيدة لسكان المنطقة سواء على الصعيد المادي أو المعنوي.

وهنا لا بد أن عود لنقطة سبق وتحدثنا عنها وهي الدعم، فعندما نتحدث عن كل تلك الأنشطة فلا بد من دعم مادي للقيام بها، وهنا تأتي المعضلة، «أنا حكوا معي عالم مشان دعم بس أنا ما رضيت، لأنه أنا بدي انقل الصورة الحقيقية، بدي انقل المعاناة اللي عايشينها، يعني بيجي داعم عايش برى بيقلي هاد المقطع هيك وهاد هيك وانشر هي ولا تنشر هي» ((نقلاً عن إحدى التنسيقيات))، هذه هي العقبة التي تقف في طريق تقدم التنسيقيات وتحد من فاعليتها وقدرتها على تمكين نفسها وتقديم الأفضل لمجتمعها وأهلها ومنطقتها.

مقبرة شهداء دومـا | عدسة سام

شرعية الجرائم والعقوبات

■ ياسر مرزوق

يعني مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات، أو مبدأ لا عقوبة ولا جريمة بلا نص قانوني، من المبادئ الأساسية في التشريعات الحديثة، ومعنى هذا المبدأ أنه لا يجرم فعل ولا يعاقب عليه، إلا بنص قانوني، يحدد نوع الفعل المجرم وأركانه وشروطه، كما يبين العقوبة المستحقة على فاعله، وأساس هذا المبدأ حماية الفرد وضمان حقوقه وحريته، وتتم هذه الحماية بمنع السلطة العامة من اتخاذ أي إجراء بحقه، ما لم يكن قد ارتكب فعلاً ينص القانون على أنه جريمة معاقب عليها بعقوبة جزائية.

وقد عُرف هذا المبدأ للمرة الأولى في الشريعة الإسلامية، حيث جاءت العديد من الآيات لتؤكد عليه، مثل قوله تعالى: " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً " وقوله: " وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياته ".

ومبدأ شرعية الجرائم والعقوبات حديث العهد في التشريعات الجزائية ويعود في أصوله إلى " العهد الأعظم " الذي منحه في انكلترا الملك جون لرعاياه عام 1216 ثم أعلن هذا المبدأ في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1774، ثم في شرعة حقوق الإنسان بعد قيام الثورة الفرنسية عام 1789 ومنذ ذلك الحين بدأ يدخل في دساتير وقوانين العالم، ثم أخذت به الأمم المتحدة في البيان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في 10 كانون الأول عام 1948.

ولقد تبنى المشرع السوري مبدأ لا جريمة ولا عقوبة بلا نص قانوني، في الدساتير المتعاقبة التي مرت على سوريا، حيث ورد في المادة العاشرة من دستور 1950، والمادة الثامنة من الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة الصادر عام 1958، والمادتين 27 و38 من الدستور السوري المؤقت لعام 1969، وفي دستوري عام 1973 و2012 حين تم النص صراحةً على مبدأ " لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص قانوني ".

كما نصت على هذا المبدأ المادة الأولى من قانون العقوبات السوري، التي جاء فيها ما يلي: " لا تفرض عقوبة ولا تدبير احترازي أو إصلاحي من أجل فعل لم يكن القانون قد نص عليه حين اقترافه ".

ويقود مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات إلى النتائج التالية:

- لا يسوغ للقاضي اعتبار فعل من الأفعال جرماً إلا إذا نص القانون صراحةً على ذلك، ومعنى هذا أنه لا يجوز للقاضي أن يستند في الإدانة على القواعد الاجتماعية أو القواعد الأخلاقية أو القواعد الدينية، أو على أن الفعل ضار بالفرد والمجتمع، أو أن المنطق والعقل يقتضيان بالتجريم، فلا سبيل أمام القاضي إذا غير الاستناد في الإدانة إلى نص قانوني، وفضلاً عن ذلك فإن على القاضي أن يلتزم بجميع عناصر التجريم وشروطه الواردة في النص، فلا يهمل عنصراً أو شرطاً، بحجة قلة أهميته، أو أنه غير مستساغ، أو أن عدم الأخذ به يحقق العدالة أو المصلحة العامة أو مصلحة المتضرر.

- لا يسوغ للقاضي الحكم بعقوبة لم ينص القانون عليها، كما لو حظر المشرع فعلاً من الأفعال، دون أن يذكر ما هي عقوبة مرتكبه، أو طلب القيام بفعل من الأفعال دون النص على عقوبة الامتناع عن القيام به.

- لا يسوغ للقاضي أن يستبدل بالعقوبة المنصوص عليها قانوناً عقوبة أخرى، لم ينص عليها القانون للجريمة المعنية، كأن يستبدل الغرامة بالحبس، أو للاعتقال بالأشغال الشاقة بحجة أنها أكثر ملائمة للمحكوم عليه، كما أنه ليس للقاضي أن يخفض العقوبة أو يرفعها إلا في الحدود التي نص عليها القانون، وعلة هذه النتيجة هي أن استبدال العقوبة بعقوبة أخرى غيرها، فيه فرض لعقوبة لم يضعها نص شرعي للجريمة المعنية، وإلغاء عقوبة كان المشرع قد نص عليها لهذه الدرجة، وهذا أمر مخالف لمبدأ شرعية الجرائم والعقوبات.

مصدر الشرعية:

مصدر الشرعية هو القانون، ولفظ القانون هنا مأخوذ بمعناه الواسع وينطوي على الأنواع الأربعة التالية: " القانون والنظام والمرسوم والقرار، وعبارة النص القانوني لا تقتصر على القانون الجزائي فقط، بل تشمل أيضاً جميع القوانين الأخرى، كالقانون المدني والقانون التجاري وقانون الأحوال الشخصية، ولكن إذا جاز اعتبار هذه القوانين مصدراً للتجريم والعقاب، فإنه لا يجوز من حيث المبدأ اعتبار مصادر القانون " الشريعة الإسلامية والعرف ومبادئ القانون الطبيعي وقواعد العدالة " مصدراً للتجريم والعقاب، وعلة ذلك أن العودة إلى هذه المصادر فيها تجاوز لنص القانون، وخروج على مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات، وفيها بالتالي ابتداع لجرائم وعقوبات جديدة، لم يرد بشأنها نص تشريعي إلا أنه يرد على هذه القاعدة استثناءات ثلاث:

1 – عندما يعود القاضي إلى قانون غير جزائي لحل قضية جزائية فإن له أن يعود أيضاً إلى مصادر هذا القانون، ففي جريمة الزنا مثلاً، يعود القاضي لقانون الأحوال الشخصية للتثبت من صحة عقد الزواج، وله أيضاً أن يعود إلى الشريعة الإسلامية والعرف إذا احتاج الأمر لذلك، وفي جريمة السرقة يعود القاضي إلى القانون المدني في مسألة تحديد ملكية الأشياء المسروقة، وله أيضاً أن يعود إلى مصادر القانون المدني.

2 - عندما يحتاج القاضي إلى حل مسألة لا سبيل لحلها بغير العودة إلى العرف، ومن هذه الحالات بعض العبارات الغامضة التي وردت في قانون العقوبات، ويتعذر معرفة معناها، وقصد المشرع منها، بغير الاستعانة بالعرف منها على سبيل المثال عبارة " الفعل المنافي للحشمة "، " التعرض للأخلاق والآداب العامة ".

3 – عندما يتدخل العرف ليبرر فعلاً جرمه القانون، ومن ذلك نذكر على سبيل المثال، إعطاء شخص غير طبيب لمريض أعشاباً ليتداوى بها أو إعطاء حبة أسبرين لعلاج الصداع أو ختان الأولاد، أو الظهور بملابس الاستحمام على شاطئ البحر أو في أحواض السباحة.

أحد أطفال مخيم أطمة على الحدود التركية

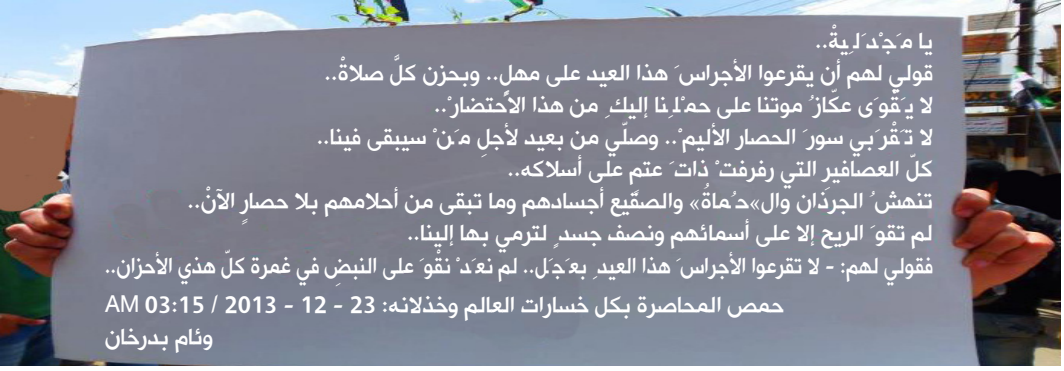

شوكت حمزة

يا جماعة بعدا ما ثلجت بسويدا.. يا اللّه وين حقوق الأقليات..؟!

الشاعر آرام

نصائح إلى كاتب يريد أن يصبح كاتباً كبيراً

- عليك أن تخرج من شقتك العاجية أو الماسية بين الحين والآخر وتصافح الناس..

- عندما تنهض صباحاً من سريرك عليك أن تقول: أحب الحياة، لا (اللّه يلعن هالحياة)..

- اكتب نصك، ولا تشغل بالك بتكسير رأس فلان أو علتان..

- الكتابة إلهام وليست انتقام..

- اقرأ تجارب الآخرين، وابتعد عن مهنة معلم الصف، لأن الثقافة الحقيقة أن تبقى تلميذاً..

- تجنب الكحول وأنت تقود السيارة، ولا تضع حزام الأمان، (لأن الكتابة هي تماماً نقيض الأمان)..

حسان عباس

أبشع من بيانات الجهاديين ومن تصريحات سدنة النظام كتابات مثقفين سوريين يرتدّون إلى طائفيتهم كاشفين عن هشاشة شخصيتهم.

فدوى روحانا

بعد سنين من القحل كنا بحاجه لاجتراع الأمل.. وقفنا أمام الشاشات، أمام الساحات واجترعناه بكثافة، بشراهة، لم نكن نتوقع هذا السيناريو المرعب.. ولكن الثورات لم تأت لتلقي على الارض السلام والمسرة، بل أتت لتكشف الخبئ والمستور، لتنبش في عمق زمننا الراكد، لتحفر في الارض حتى قعر سمومها، وهذه الارض ستلد السموم مرة بعد اخرى حتى تطهر رحمها، حتى يأتيها الخلاص.. ومع انني قلما اقرأ الكتب السماوية إلا انها تذكرني بقول المسيح: لم أت لألقي على هذه الارض سلاما، بل سيفا..

علي الأتاسي

بس حدا يشرح لي شو الفرق في سلم الجريمة بين من يقتل شعبه بالكيمياوي؟ ومن يقتل شعبه بالسكود والبراميل المتفجرة؟ ليش هديك حرام وهي حلال بنظر العالم المتحضر؟

موفق كمال

لا أنت محمد ولا أنت جولاني.. أنت اللي بيقولوا عنو أهل الشام: ضرب براني..

هديل مرعي

الطيار الأمريكي الذي رمى القنبلة الذرية على هيروشيما لم يحتمل نتائج فعلته فانتحر لشعوره بالجريمة والعار..

عندنا في سوريا.. نوع جديد من المخلوقات، تفتخر برمي براميل الموت على المخابز والمدارس والجوامع والكراجات وهي تضحك.

نورا مراد

لم يكن الفن بالنسبة لي سوى فضاء حر نتحدث فيه عن الإنسان.. ومن خلال الإنسان نتحدث عن كل شيء آخر..

الفن المؤدلج لا يمثلني..

خولة يوسف

رغم كل هذا الجنون والضياع والبؤس ما تزال مشاجراتنا الصغيرة والكبيرة منها بنكهة القرفة في كأس بارد من الشاي..

نتجرعهُ على مهل وكأنه فرصتنا الأخيرة لنوقن أننا ما زلنا أحياء..

أحياء؟؟

سُكرٌ مفقود.. كَ نبيذ كنيسة مُعتق خلَلَهُ أثرُ لعاب لسارقِ الرشفةِ المحرُمة من عنق الزجاجة..

مُعتقلةٌ هي الحواس خلف المسافة..

كريهة حد الغثيان رائحة السجائر في الأسمال..

تجعل مذاق الأنفاس قديماً كَ قبو مهجور..

فيُطبقُ الصمت منافذ الهواء..

رماد..

ويتساءلون لِمَ يُشيح كلٌ منا وجهه عن الآخر..

أنه العفن يا صديقي..

العفن الذي تمكنَ من القلوب..

قالت:

ولم يجد جواباً..

على قارعةِ الحُزن تركتهُ ومضتْ..

نحو قبرٍ مفتوح.. ها..

هلوساتُ الحُمى..

نصفي ثلج ونصفي الأخر يحترق..

ما قبل جني.. والزاوية..

ندى صبح

"سَجنه النظام لأنه كان معارضاً" شهادة أصبحت باهتة في عرض السيرة الذاتية لأي معارض سياسي.. وذلك بعد أن أصبح أغلب الشباب السوري يحملون شهادة " قتل تحت التعذيب " في سجون النظام..

ويلعن روحك يا حافظ..

قيس بن ساعدة

تقول وكالات الأنباء: مئة شخص سقطوا في سوريا اليوم. هؤلاء ارتفعوا، نحن الذين نسقط كل يوم يا أغبياء!..

فؤاد غادري

ما هو عدد اللاجئين السوريين؟:

أقل بشوي من عدد اللي عم يسرقوا ويشحدوا باسمهن.

هشام عقل أبو جولان

لو كان لي أن أمثل الطاغية، ولو لدقائق لصرحت بما يلي:

أيها الشعب السوري العظيم:

لقد سرقتكم وخدعتكم وورثت سلطة من رجل لم يستحقها يوما.. كان باستطاعتي أن آخذ المليارات التي ورثتها والتي جمعتها وأذهب للاستمتاع بها وأترككم تقررون مصيركم. لكني آثرت أن أبقى وأخدم مشاريع الايرانيين وملفهم النووي والتوسعي وكذلك خدمة مشروع روسيا في المنطقة. لقد ورطت طائفتي بأكملها وعملت على شق صف السوريين وزرع النزاع الطائفي بين جميع مكوناته..

أوجه كلمتي الآن لكل المؤيدين:

لقد كنتم حريصين على شخصي أكثر من حرصكم على الوطن.. وكنتم حريصين على تأييدي أكثر من حرصكم على أبناء شعبكم.. لقد كنتم طوال الوقت مع الظلم والظالم. اني احتقركم جميعا.. لقد كنتم سببا في اطالة هذا الموت.

أيها الشعب السوري العظيم:

لقد خنت الأمانة والوطن والشعب واستحق اللعنة الأبدية في الجحيم بعد محاكمتكم لي..

المجد للثورة

خلاص الفلسطينيين من خلاص السوريين..

عام على قصف المخيم لمخيم اليرموك 16 / 12 / 2012.. عام على مأساة مخيم اليرموك..

بلغ عدد الفلسطينيين الذين لقوا مصرعهم، إبان 30 شهراً من عمر الثورة السورية، حوالي 1600 شهيد، نصفهم قضوا في مخيم اليرموك وجواره (الحجر الأسود والتقدم والتضامن).. وتبين الإحصاءات أن أكثر من 65 في المئة من هؤلاء الشهداء قضوا داخل مخيماتهم، على النحو التالي: مخيم اليرموك (556)، مخيم درعا (107)، ومخيم الحسينية (74)، مخيم العائدين في حمص (52)، مخيم خان الشيح (45)، ومخيم السيدة زينب (25)، ومخيم السبينة (25)، ومخيمي النيرب وحندرات قرب حلب (55)، ومخيم حماة (17)، ومخيم الرمل في اللاذقية (11)، ومخيم جرمانا (11). وقد اختلفت الأشكال التي أودت بحياة هؤلاء فثمة 822 فلسطينياً استشهدوا نتيجة عمليات القصف، و195 برصاص القناصة، و150 برصاص رجال الأمن والجيش، و118 تم إعدامهم ميدانياً، 69 استشهدوا تحت التعذيب وثمة، أيضاً، إلى جانب الشهداء مئات الجرحى والمعوقين والمعتقلين والملاحقين، وعشرات الوف النازحين إلى مناطق أخرى داخل سوريا، ولاجئين في البلدان المجاورة.. فضلاً عن تدمير مئات البيوت في عديد من المخيمات.

وكانت أولى المواجهات في مخيم اليرموك جرت يوم 13 / 7 / 2012، حيث قام رجال الأمن بإطلاق الرصاص على تظاهرة سلمية خرجت في المخيم تنديداً بالمجزرة التي وقعت في التريمسة، ما أدى إلى مصرع ستة من المتظاهرين. وبعدها بات المخيم يتعرض لوجبات من القصف المدفعي، قضى فيها تسعة فلسطينيين (18 / 7)، و18 (2 / 8)، و70 في شهر أيلول / سبتمبر، و13 (5 / 12 / 2012). (لمزيد من التفاصيل والإحصاءات والوثائق، يمكن الاطلاع على كتاب يوسف فخر الدين ويوسف زيدان: «اللاجئون الفلسطينيون في المحنة السورية.

الواقع فإن سعي أطراف فلسطينية (موالية للنظام) لإقحام المخيم في الصراع الجاري، فوّت محاولات تحييده، وتجنيبه دفع الأثمان الباهظة، وجعله في قلب الصراع الجاري على كل شبر في سوريا، بين النظام و»الجيش الحر». هكذا وصل الوضع إلى حد قيام طائرات النظام بشنّ غارة جوية على المخيم راح ضحيتها العشرات، لأنها استهدفت أماكن تجمع للنازحين (مدرسة الفالوجة ومسجد عبد القادر الحسيني)، وذلك يوم (16 / 12 / 2012)، وهو اليوم الذي شهد محاولة جماعات «الجيش الحر» اقتحام بعض المناطق في المخيم لإنهاء وضع «اللجان الشعبية»، وهي التطورات التي أدت إلى نزوح 70 بالمئة من سكانه. ولعلّ ما ينبغي التأكيد عليه هنا هو أن حال الفلسطينيين المأسوية هذه هي ذات حال السوريين في معظم مناطقهم، ما يؤكد ارتباط مصيرهم بمصير هؤلاء، بمعزل عن أي اعتبارات أخرى..

ماجد كيالي

المدينـــة

ذات يـوم، وبينما كان المسـافر يجلس علـى ضفاف بحيـرة ليرتاحَ من عناء السـفر. رأى فتـاة تضع زهرةً بيضاء على سـطح البحيرة لتنسـابَ عبر أمواجها الرقيقة إلى وسـطها فتختفي عن الأنظار هناك. وتوالت الأيام وهما على تلك الحال إلى أن جاء المسـافر وجلس مكانه ينتظر الفتاة التي لم تأتِ كعادتها. فركب قارباً وأتى به وسـط البحيرة وتوقف هناك يراقب بتمعن كل شـيءٍ حوله. ولمّا أتى بنظره سـطح الماء رأى صورة لمدينةٍ كبيرة تنعكس عليـه، فدهش وتعجّب ونظـر إلى الأعلى ليجدَ تلـك المدينة منتصبة فوقه وعلـى مقربةٍ منه دون أعمدة تسـندها. وقد ازداد عجبـاً حين امتدت منها يد تلـك الفتـاة إليه، ودون أي تـردد مدّ لها يده هو أيضاً لتسـحبه إليها. ثم وجد نفسه واقفاً على أرض مسطحة وحوله بنيان وعمران تنعكس أشعة الشمس على أسـطحها لتسـطعَ بنورٍ أبيض فينعكس على بعضها بعضاً. لم يستطع المسـافر أن ينطـق بحرف البتة لشـدة مـا أصابه من ذهـول، لكنّه نظر إلى عينَي تلك الفتاة راجياً منها النطق لِتُزيلَ عنه الغموض.

فحدثَتْـه قائلـة: إننا هنـا أناسٌ نحسـن الظّن ببعضنا البعـض وتجدنا نـردّ الجميل بأن نكون عند حسـن الظّن. وقد اسـتدرجتك إلينا بتلك الأزهار لتشاهدَ مدينتنا وتذكرها لمن تلتقيهم خلال ترحالك، وتحدثهم عَن ساكنيها الذين هم سبب حلَتِها الجميلة التي ترى. ثم عاد المسافر إلى ضفاف البحيرة ليجـد الفتاة تضـع الزهرة على سـطحها كعادتها، فخُيل إليه بأنّ ما شـاهده كان حلماً، لكنّه لم يتوارَ في ذكر أطياب المدينة وطيب أناسـها لمن يلتقيهم أثناء سفره.

سوريا / ريف حلب / 2012

نصوص وتصوير: باسل حسو دقق النص: سيما نصّار

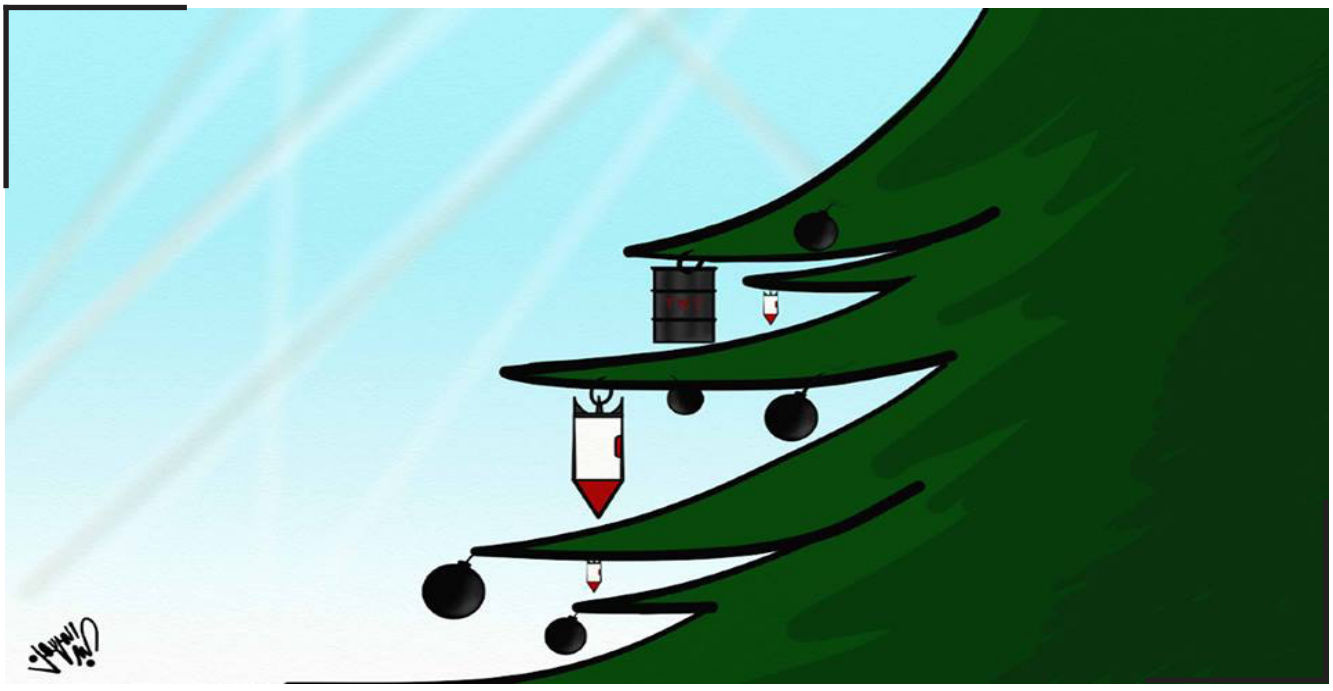

كاريكاتير العدد | الفنان عبد المهيمن بدوي

القضاء على الحاضنة الشعبية للثورة

■ خالد قنوت

سأل صديق عمره بخجل وتوجس: هل ترض ما يحدث بحلب؟ أجابه وبدون تردد: هؤلاء إرهابيون وقاعديون ويجب قتلهم. أدار له شاشة الحاسب ووضع فلم عن إسقاط الطائرات الأسدية للبراميل المتفجرة وشرح عن ما تحويه هذه البراميل من أسباب الموت الجماعي العشوائي دون تركيز ودون تمييز، تبعها صراخ أهالي الضحايا ونجدتهم لأطفال من تحت ركام بيوتهم وبكاء الرجال ونحيبهم بينما كانت ثلوج إلكسا تنهمر على البشر والحجر المتهدم وعلى نار البراميل المنفجرة والمتطايرة ممزقةً ما يقف في طريقها من عيون ورؤوس وأطراف.

توقف العرض، فنظر في عيني صديق عمره من جديد وسأله بنبرة من الحرقة والعتب: هل هؤلاء إرهابيين وقاعديون؟، هؤلاء أهلنا في حلب ومثلهم في درعا والرقة ودير الزور وحمص ودمشق وريفها وإدلب، هؤلاء أهلي وأهلك السوريين، أليس كذلك؟.

لم ترف له جفن وإنما أجابه بعيون جاحظة بلا بريق، وبوجه بلا ملامح: هؤلاء الحاضنة الشعبية للإرهابيين والقاعديين وعلينا قتلهم.

انتهى الحوار العقيم!!

السؤال المعضلة الذي مازلنا نسأله عن الوسيلة التي مارسها نظام استبدادي لا أخلاقي للوصول بالبشر إلى هذا الدرك من الوضاعة الإنسانية والأخلاقية بعيداً عن الوطنيات والشعور الوطني الذي قتله فيهم منذ زمن بعيد، حيث حولهم لجماعات وملل ومذاهب أكثر ما حولهم لسوريين، والأنكى هذا الدرك يبنونه على منطق الخوف على سورية.

البعض منهم يسر لك بأنه لا يحب النظام ولا ظلمه ولكن المهم اليوم سورية وخوفه على سورية إذا سقط النظام أو رأس النظام تحديداً. بالأمس وقبل الثورة كانوا الأكثر انتقاداً وتأففاً من وساخة النظام وأجهزته الأمنية ووساخة الطرقات، اليوم ليس لهم حديث سوى عن وساخة المعارضة والمقاتلين الأجانب والكتائب الإسلامية المسلحة والجيش الحر..

كل الأخبار عن التدمير الشامل الذي يمارسه النظام بمنهجية وهمجية لسورية حاضراً ومستقبلاً وقتلاً وإذلالاً للسوريين ليست لديهم سوى تلفيقات وإكاذيب بعد أن كانت مجسمات قطرية ومؤامرات كونية، بينما أخبار الفضائيات السورية وبعض الفضائيات اللبنانية كتاب منزل وصحيح في حين أنهم كانوا الأكثر بعداً واشمئزازاً منها قبل الثورة.

كل الآراء النقدية لأي معارض لممارسات البعض ممن يدعون الثورة، تؤخذ منهم مجتزأة فقط فيما يخص ذلك وتترك ما يتحدث بها عن أصل الأزمة وسبب استمرارها وسبل حلها التي يبدأ بسقوط النظام ومحاكمته على خياناته وإجرامه بحق هذا الوطن الجميل.

لن أعفي الذين تربعوا على شاشات الفضائيات ومجالس المعارضات وائتلافاتها وهيئاتها من مسؤولية التحريض على العنف وعلى تديين الثورة ثم تطييفها ومخاطبة الآخر المتردد والموالي بخطاب التخوين والمحاسبة ووعود بقطع الرؤوس في حال انتصار ثورتهم، لكن هناك عطب بنيوي في ذهنية وعقلية الكثيرين من السوريين الذين يبررون قتل سوريين آخرين لأنهم حاضنة شعبية لما يدعونه إرهابيين وقاعديين، المسؤول عنها أولاً وأخيراً نظام قاتل ولص ومغتصب لسورية ولسيادتها.

في علم النفس يمكن تسمية هذه المعضلة بمتلازمة ستوكهولم حيث تتعاطف الضحية مع جلادها وترفض حقائق واضحة وملموسة عن خروج السوريين طلباً للحرية والكرامة والعدالة وعن تأكيدهم على المصير السوري الواحد على ارض سورية كلها.

أغلب مدن أوربا كانت مدمرة بعد الحرب العالمية الثانية ولكنها نهضت من جديد وأعيد بناؤها وبناء الأضرحة والصروح المعبرة عن بشاعة تلك الحقبة الزمنية كي لا تتناساها الأجيال القادمة ولكن من أصعب وأقسى أعمال إعادة البناء، هي إعادة بناء العقول المشوهة والمنحرفة والقلوب الباردة ولو كانت تنعم بدفء فيزيائي.

في سورية الجديدة، سورية الوطن والمواطنة، سورية الدولة الوطنية الحديثة من الضروري تلازم إعادة بنائها الإنشائي والمدني بإعادة بناء الشخصية الوطنية السورية، الحرة من قيود العبودية والإيديولوجيات الشمولية والاقصائية التي تسمح لسوري بأن يبرر تعرض سوري آخر لأدنى أنواع الأذى والإذلال أو الحرمان من واحد بالمئة من حقوقه ولو كان يمثل واحد بالمئة من مجمل السوريين.

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (82922)

دمشق: 6006
ريف دمشق: 19686
حمص: 11859
درعا: 7368
إدلب: 9188
حلب: 14267
دير الزور: 4957
الرقة: 1025
السويداء: 60
حماة: 5602
اللاذقية: 903
طرطوس: 331
الحسكة: 588
القنيطرة: 450

6518 عدد الأطفال الذكور
2960 عدد الأطفال الإناث
6112 عدد الإناث
21537 عدد العسكريين
61385 عدد المدنيين

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 28 / 12 / 2013
http://www.vdc-sy.info/

تمت طباعة وتوزيع هذا العدد من قبل مطبعة سمارت ضمن مشروع دعم الإعلام السوري الحر

حي القابون الدمشقي بعد تدميره | عدسة سام